التوحيد في مصدرية العقل المعرفي دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل

أ.د عبد الكريم الحيدري (*)
أ.م.د علي الشيخ علي
د. محمد حسين صادق

الكلمات المفتاحية: التوحيد في القرآن - التوحيد، العقل ومصادر المعرفة، القرآن، التوراة، الإنجيل، العقل ومصادر المعرفة في الكتب الثلاثة.

المقدمة

الكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى تتضمن تعاليم ومعارف وحقائق غيبية وإيمانية عظيمة، لأن الدين الاسلامي يعتبر خاتم الأديان، وكتابه العظيم يعتبر خاتم الكتب السماوية لذا فهو يتضمَّن تعاليم ومعارف عميقة وشاملة تضمن سعادة الإنسان من يوم نزول القرآن إلى يوم القيامة ويعتبر الإسلام من أكثر الأديان التوحيدية التي دعت إلى التوحيد الخالص لله تعالى، ورفض الشرك بجميع أشكاله، إذ اعتبر الشرك من الظلم العظيم الذي لا يغفر، ويؤكّد القرآن أنّ التوحيد من الأمور الفطرية التي جُبل عليها الإنسان، وقد اتّخذ القرآن أساليب متنوّع، ومصادر معرفية عديدة التي من أهمها:العقل في تثبيت عقيدة التوحيد وارساء أركانها في عقول الناس ويمكن القول أنّ القرآن اعتني بمسألة التوحيد عناية لم يهتم بمثلها تجاه أي مسألة أُخرى من المسائل الاعتقادية، وهذا ما سوف يتبين في هذا البحث، إذ سنتناول النصوص القرآنية المختصة في التوحيد، طبقاً للمصادر المعتبرة التي من أبرزها العقل، وبسبب ذلك فلقد تمّ وضع عنوان البحث بهذا الترتيب، فكان القرآن مُتقدمٌ على التوراة والإنجيل، إذ إننا لا يمكن حصر هذا الإهتمام بالقرآن الكريم، فقد تبين في ضوء التدقيق في مصدرية العقل المعرفي تأكيد نصوص التوراة والإنجيل على هذه العناوين، وإن كان بشكل اجمالي، لكن يبقى البعد المعرفي للقرآن في مجال التوحيد يختلف بشكل كبير عن البعد المعرفي للتوحيد في التورة والانجيل في ضوء بيان عمق

(*)جامعة المصطفى العالمية/ كلية العلوم والمعارف للدراسات العليا

Mohammedsadek.baghdad١@gmail.com

المطالـب، وحقيقـة التوحيـد، وشـموليته لكل مراتبه الكثيرة، ومن هنا كان خيارنا البحث في التوحيـد طبقاً للعقل باعتبـاره من أهم مصادر المعرفة، ومن ثَمَّ دراسة الأبعاد المعرفية للقرآن والتـوراة والانجيـل، فكان عنـوان البحث هو (التوحيد في مصدرية العقل المعرفي}.

أولاً: أسـئلة البحث: أ: السـؤال الأساسـي: مـا التوحيد طبقاً لمصدريـة العقل المعرفي في التوراة والإنجيل والقرآن؟

ب: الأسئلة الفرعية: ما التوحيد في مصدرية العقـل في القـرآن ؟، ما التوحيـد في مصدرية العقـل في التـوراة؟، ما التوحيد فـي مصدرية العقـل فـي الإنجيـل؟، مـا أوجـه الإشـتراك والإختـلاف بين التوحيد في مصدرية العقل في الكتب الثلاثة؟

ثانيـاً: أهمية البحـث: اليوم نلحظ للأسـف بعض المستشـرقين في العالم الغربي، وبعض الذين يصفون أنفسـهم بالمتنوريـن والمفكرين يشـنّون هجمة على القـرآن الكريم وهم يتبعون الجهـل والظـن بتعاليم هـذا الكتاب السـماوي الخالـد فمن المهم كشـف اللثام عـن المعارف الحقـة، والعميقة التـي جاء بها القـرآن الكريم فـي مختلف الجوانـب والأبعـاد المعرفية طبقاً لمصدريـة العقل المعرفي، ومقايسـتها بالكتب السـماوية الأخرى {التـوراة والإنجيل}، لأنه مـن الصعب حصـر كل الأبعـاد المعرفية في هـذه البحث لذا وقع اختياري على أهم الأصول الاعتقاديـة المشـتركة بيـن الأديـان الثلاثـة (اليهودية والمسـيحية والإسـلام} وهي عقيدة التوحيـد، وجعلتهـا قيـدّ لدراسـة هـذه الأبعاد المعرفية اعتماداً على مصدرية العقل المعرفي المعتبـرة في هذه النصوص، لكـي تتضح فيما بعـد المعارف الحقّة والعميقة والدقيقة التي جاء بهـا القـرآن الكريم بهـذا الخصـوص، وكذلك يتضح أهم نقاط الاشـتراك والاختلاف فيما بين النصـوص فـي الكتب المقدسـة الثلاثة في هذا العنوان

ثالثـاً: منهـج البحث: باعتبـار أن موضوع الدراسـة بحث في ألاديان مقـارن فقد اعتمدت علـى مناهج متعددة أولها المنهج الوصفي وهو عبارة اسـتقصاء النصوص فـي الكتب الثلاثة التي ترتبـط بموضوع التوحيـد، وكذلك يعتمد علـى المنهـج التحليلي فـي ضـوء تحليل تلك النصـوص والثالث المنهج المقـارن في ضوء بيان مقارنة بين هذه الكتب السماوية بخصوص موضوع التوحيد ومصادر المعرفة.

رابعاً: أهـداف البحث: يهدف هذا البحث إلى بيـان التوحيد طبقـاً لمصدرية العقـل المعرفي المعتبـر في الكتب الثلاثة، وبيان حقيقة التوحيد القرآنـي الـذي يعتبر مـن أهم أنـواع الإعجاز المعرفـي للقرآن الكريـم. ومقارنته مع التوحيد المعرفـي في التوراة والإنجيـل، وكيفية هيمنة التوحيـد القرآنـي علـى التوحيـد فـي التوراة والإنجيـل، في ضوء الشـمولية والعمق والدقة والمراتـب الكثيرة التي ذكرها الله سـبحانه في كتابه السماوي الخالد.

خامساً خطة البحث: المبحث الأول / التعريف بمصطلحات البحث.

المبحـث الثاني /التوحيد فـي نصوص القرآن اعتماد على مصدرية العقل.

المبحث الثالث / مفهوم التوحيد في التوراة.

المبحث الرابع/ مفهوم التوحيد في الإنجيل.

الخاتمة / تتضمن اهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

المبحث الأول / التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: التعريف بالقرآن الكريم.

يعتبر القرآن الكريم هو المصدر المعرفي، والكتاب المنزل على النبي الخاتم(ص) نصاً متكاملاً لفظاً ومعنىً وأسلوباً، وهو المدون في المصحف والمنقول عن الرسول(ص) بالتواتر، وهو المصدر المعرفي الرئيس للإسلام، ومعجزته الخالدة التي مازالت ماثلةً تتحدى جميع العالمين الإنس والجن على مر القرون وإلى يومنا الحاضر.

يعد القرآن المصدر المعرفي الجامع لمبادئ الحياة الإنسانية بكل اتجاهاتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن الجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم بنى كل ذلك على الميول الفطرية التي تنطلق من جوهر الإنسان وإنسانيته، والقرآن وحي الله إلى الإنسانية، وقد تواترت النصوص التي لها دلالة قطعية على ذلك، كما في قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} سورة الأعراف الآية ١٥٨،وقوله تعالى { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} سورة الفرقان الآية١، وكما أكد أنَّ رسالته شاملة للعالمين الجنُّ والإنسُ، و ذلك في قوله تعالى {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} سورة الأحقاف الآية٢٩.

القرآن لغةً

اختلف العلماء في المعنى اللغويُّ للقرآن على أقوال منهم[1]:

١- من قال إنَّ القرآن اسمُ عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغوي وغير مهموزٍ (أي قرآن)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النّبي(ص) -كما في أسماء الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل، وهذا القولُ منسوبٌ إلى الشافعيّ وغيره.

٢- ومن قال إنَّ القرآن اسمٌ مُشتقٌ من القرائن، لأنَّ الآيات يُصَدَّقُ بعضها بعضاً، ويُشابه بعضه بعضاً كالقرينات أي المتشابهات، وهذا قول الفرَّاء.

٣- وقيل إنَّه لفظٌ مهموز (أي قرآن)، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ وغيره.

٤- وذهب الزجَّاج وغيره إلى القول أنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ أي الجمع، مثال ذلك: قرأتُ الماء في الحوضِ: أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن بذلك؛ لأنَّه جمع السُّور بعضها إلى بعض، أو لأنَّه جمع ثمرات، وفوائد الكتب السَماويَّة التي نزلت قبله، كما قال الراغب الأصفهاني.

القرآن الكريم إصطلاحاً

يعرَّف القرآن اصطلاحا بأنَّه كلام الله المُعجَز، المُوحى به إلى النبي الخاتم(ص)، بوساطة جبرائيل{ع}، المنقول بالتّواتر، المكتوب بين الدفتين، المُتعَبّد به، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

• المقصود أنَّه مُعجَزْ، أي أنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون مُعجزةً مُؤيّدةً للنبي(ص)، وتمثل الإعجاز بما تضمنه القرآن الكريم من فصاحةٍ وبلاغةٍ، وإخبارٍ عن الغيب، وقصصٍ للأمم السّابقة، وما تضمنه من إعجازٍ علميٍّ وتشريعيٍّ، قد تحدى فيه كلَّ الكافرين بأنْ يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ منه، وما زال التحدي قائماً،

كمـا في قوله تعالى: { قُلْ لَئِـنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُـوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِـهِ وَلَـوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} سـورة الإسراء الآية ٨٨.

• أمّـا: المـراد بالموصى بـه، أي أنَّ القرآن الكريـم بكلّ ألفاظه ومعانيه مُنَزّلٌ من الله تعالى علـى النبـي(ص) بوسـاطة جبرائيـل(ع) كما فـي قوله تعالى: { نَزَلَ بِهِ الـرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ } سـورة الشـعراء الآية ١٩٢ـ١٩٤.

• أمّـا :المقصود بمتعبدٍ بتلاوتـه، أي أنَّ في تلاوته عبادةً وقربـةً يتقرب بها المُؤمنُ من الله تعالـى، وكما هـو واضح أنَّ الصـلاة لا تكون صحيحةً إلا بقراءة الجزء الواجب منه.

وعرفه آخرون نذكر تعريف البعض منهم:

قال الفضلي: هـو كلام الله المنزل على خاتم الأنبيـاء باللفظ العربي المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلا متواتراً[٢].

وقـال الحكيـم: القـرآن الكريـم هـو الكلام المُعجَزْ المُنزلْ وحياً على النبي(ص) المكتوب فـي المصحـف، المنقول عنه بالتواتـر المتعبد بتلاوته[٣].

وقال العطار: ويمكن القول إنَّ القرآن الكريم هـو وحيُّ اللهِ المُنـزَلْ على النبـي محمد(ص) لفظاً ومعنى وأسلوبا، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر[٤].

ويعتبر هذا التعريف أتم التعاريف.

المطلب الثاني: التعريف بالتوراة.

إنّ الكتاب المقدس يشـتمل إلى قسمين، هما العهد القديم وهو (التوراة)، والعهد الجديد وهو (الإنجيل)).

ومـا يهمنا في هـذا العنوان هـو العهد القديم (التـوراة)، فالعهـد القديـم هـو كتـاب اليهود، ويمكننا تقريـب فكرة جمع مصادر العهد القديم فـي كتاب التوراة، بمثل المدينة التي بنيت على عـدة مراحـل إلا أنَّ بنـاء هذه المدينـة لم تكن مدتها بضعة أشـهر أو بضعة سنين، بل حوالي ثمـان قرون، هذا تشـبيه لحـال كتابـة التوراة عنـد اليهود، إذ بدأت مع موسـى(ع) وانتظمت في عهد الملـوك، وامتدت إلـى الزمن القريب مـن بعثة المسـيح(ع)، وسـوف نتعـرف قبل اسـتعراض مراحل العهد القديـم (التوراة) إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا العنوان.

التوراة لغةً [٥]: الضيـاء والنور، يقال ورى الزند يري: إذا خرجت نارهُ، وقيل: التوراة كلمة من أصل عبري مشـتقة من (يوريـه)، بمعنى يعلم أو يوجه، ومعناها: الشـريعة[٦]. وقيل هو اسمٌ للكتاب الذي أنزله الله على موسى(ع)[٧].

المعنـى الاصطلاحـي عند اليهـود: كلمة عبرانية تعني الشـريعة أو الناموس، ويراد بها فـي اصطلاح اليهود، خمسـة أسـفار يعتقدون أن موسـى(ع) كتبهـا بيـده، ويسـمونها (بنتـا توك) نسـبة إلى (بنتا) وهي كلمة يونانية تعني خمسة، أي الأسفار الخمسة، وهذه الأسفار هي: سـفر التكوين، وسـفر الخروج، وسفر لاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، إما الأسفار الملحقة بالتوراة فعددها أربعة وثلاثون سـفراً، حسـب النسخة البروتستانتية[٨].

التعريف بالعهد القديم {التوراة} على نحو الإجمال:

المرحلة الأولى: العهد القديم بدأ مع موسى(ع)، وقد أُوحيّ إليه يوم بدأت المجتمعات الشرقية تتعلم الكتابة بالحروف، واستطاع الفينيقيون من إيصال الكتابة إلى أغلب شعوب الأرض آنذاك.

ونستطيع أن نقول إنّ هذه المرحلة هي مرحلة التقاليد العبرانيّة التي ظل اعتقاد اليهود وارتبط وجودهم وتربيتهم بها، وهي مرحلة التقليد الشخصي، فالعبرانيون لم يكونوا أمةً واحدةً بعد، بل جماعات متفرقة تعيش كل فرقة منهم تأريخاً خاصاً بها [٩].

المرحلة الثانية: المرحلة التي تستوعب عهدين مهمين هما عهد داود وسليمان(ع)، إذ ينطلق فيهما الأدب والتاريخ المكتوب لشعب إسرائيل، اعتماداً على التقاليد الشفهيّة التي انتقلت إليهم من المرحلة الأولى، وتمتد هذه المرحلة حتى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد.

المرحلة الثالثة: المرحلة التي بدأت بعد انقسام مملكة داود إلى مملكتين، هما مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم، ومملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة، ولقد ازدهر الأدب العبراني في المملكتين لا سيما في القرن التاسع والثامن قبل الميلاد إلى زمن تدمير مدينة السامرة، فحمل من تبقى من اليهود كتبهم إلى مدينة أورشليم، فاندمج تراث الجنوب بتراث الشمال.

المرحلة الرابعة: مرحلة سقوط أورشليم وذهاب الشعب إلى المنفى، وذلك سنة ٥٨٧ق.م، فكانت مرحلة ركود وتجديد في نفس الفترة حتى القرن الأول قبل الميلاد، فعادت الجماعة إلى أُصولها القديمة وتدوينها، وقد انفتحت هذه الجماعات على تيارات فكريةٍ جديدةٍ برز فيها تأثير الثقافة اليونانية في بعض أسفار العهد القديم.

المرحلة الخامسة: مرحلة رجوع المنفيين من بني إسرائيل إلى فلسطين في عهد الفرس، وقاموا بهذه الفترة بتدوين الكتاب من جديد على يد (عزرا والكتّاب)، ولقد سمحوا لهم ببناء الهيكل.

وفي ضوء هذه المراحل يظهر أنّ تدوين تأريخ العبرانيين بدأ منذ عهد داود وسليمان(ع)، وظلوا يقرؤونه وينقّحونه في حلقات المتعلمين والكهنة، فكان هذا له أثر كبير بتحويله إلى كتاب وحي سماويّ؛ إذ يقولون: إنّ في هذه الأسفار كلمة الله سبحانه كما دوّنت بلسان البشر.

وإمَّا تحديد أسفار العهد القديم، فلم يتّم إلا بعد بعثة السيد المسيح(ع)، فقد اجتمع رؤساء اليهود بقيادة {يوحنا بن زكّاي} على شاطئ البحر القريب من يافا حوالي سنة ٩٠م؛ وذلك للوقوف بوجه المخاطر التي كانت تهدّد كيان الأُمة اليهودية ومستقبلها، وخصوصاً بعد ظهور الدين المسيحي الجديد، وقد اتخذوا قرارات متعددة منها: الانفصال عن المسيحيين ومنعهم من الاشتراك في الصلاة اليهودية، تحديد الأسفار القانونية (المقدسة)، اعتبار لائحة الكتب المقدسة التي عُلن عليها هي كلام الله وقاعدة حياة المؤمن، جعل سفري أخبار الأيام هو آخر أسفار العهد القديم معتبرين أسفار العهد القديم هي منتهى الوحي، وخاتمة كلام الله إلى شعبه.

وإمَّا الكنيسة الغربية فقد قبلت منذ القدم أسفار العهد القديم، كما تعرفها الكنيسة الكاثوليكية اليوم، وقد ظهرت في البداية بعض الخلافات في تحديد تلك الأسفار، لكن وضع حدٍ لتلك الاختلافات في

مجمع قرطاجة الثالث الذي عقد سنة ٣٩٧م، وحددت فيه الأسفار المقدسة، فكان ترتيب الأسفار القانونية كالأتي: الشريعة (التوراة) أو أسفار موسى(ع) وهي: (التكوين، والخروج، والعدد، واللاويين، والتثنية)، الأسفار التاريخية وهي: (يوشع، القضاة، رعوت، صموئيل، ١-٢ سفر الملوك، ١-٢ سفرالاخبار١-٢، عزرا، نحميا، أستير)، الأسفار الحكمية وهي: (المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة).ومن المعلوم إنّ لكل سفرٍ رمزاً وعلامةً للاختصار تستعمل في الكتب.

التعريف بالعهد القديم {التوراة} على نحو الإجمال أولاً: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية، ثانياً: الأسفار التاريخية: سفر يشوع، سفر القضاة، سفر راعوث، سفر صموئيل الأول والثاني، ثالثاً: الأسفار الحكميّة، سفر أيّوب، سفر المزامير، سفر الأمثال، سفر الجامعة.

المطلب الثالث: التعريف بالإنجيل.

سميّ العهد الجديد بهذه التسمية بعد تدوين علماء المسيح بعد عيسى المسيح(ع) الكتابات التي تعود إلى النصف الثاني من القرن الأوّل المسيحي، ودونت هذه الكتابات باللغة اليونانيّة التي كانت شائعةً آنذاك في بلاد البحر الأبيض المتوسط، واكتسبت الصفة القانونية؛ باعتبارها أسفارًا موحاة من الله في القرن الرابع الميلادي، وقبل الخوض بدراسة العهد الجديد (الإنجيل)، لا بد من الوقوف على تعريف الإنجيل لغةً واصطلاحا.

تعريف الإنجيل لغةً:

إنجيل: (اسم)، الجمعُ: أناجيل، والإنجيلُ: كتاب الله تعالى المنزَّل على نبيّه عيسى(ع)، وهي كلمةٌ يونانيّة معناها البشارة، يُذكّر ويؤنَّث، فمن أنثَّهُ أراد الصَّحيفةَ، ومن ذكّره أراد الكتابَ [١٠].

وقيل: إنّه اسمٌ عبراني، وقيل: هو لفظ يوناني والأصل (أيفا نجليون)، ومعناه: البشارة، أو الخبر السار، وقيل: التعليم الجديد، وقيل: هو عربي على وزن إفعيل من النجل وهو اسمٌ مشتقٌ من نجل، يقال: نجل الشيء ينجله، نجلا بمعنى أظهره، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فسمي الإنجيل؛ لأنّ الله أظهره للناس بعد طموس الحق وخفائه.

تعريف الإنجيل اصطلاحًا: عند علماء المسلمين: هو الكتاب المنزل على عيسى بن مريم (ع) وهو من النجل، وهو الأصل، والإنجيل هو أصلٌ لعلوم وحكم، ويُقال هو من نجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل هو مستخرج به علوم وحكم إلا أنّ الإنجيل الأصلي قد فقد، وما هو مروي منه مقطوع الصلة بعيس (ع) وليس من دليل علمي على صحته [١١].

وقيل في تعريفه أيضًا: هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى (ع) متممًا للتوراة، ومؤيدًا لها، وموافقًا لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق والباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون سواه، والإنجيل ليس فيه إلا أحكام قليلة، وأكثر الأحكام يتبع فيها ما في التوراة، وبعد موت

عيسى (ع) على حد زعمهم وظنهم دخل تحريف الإنجيل فغير فيه، وبدل، وزيد فيه، ونقص، والأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة، هي: إنجيل يوحنا، وإنجيل مرقس، وإنجيل متى، وإنجيل لوقا، وأمّا فمحتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات، هي:

١-القصص: يشغل الحيز الأكبر منها، ويتحدث عن قصة المسيح(ع)، بدءًا بولادته، ثمّ دعوته، ثمّ موته على الصليب ودفنه، ثمّ قيامه من القبر، ثمّ صعوده إلى السماء بحسب زعمهم.

٢- العقائد: وتتركز بشكل رئيس عن ألوهية المسيح وبنوته لله، وتقرير أسس العقيدة النصرانية، وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ذلك إنجيل يوحنا.

٣- الشريعة: يفهم من الأناجيل أنها أقرت شريعة موسى(ع) إلا ما ورد عن المسيح بتعديله، أو نسخه في أمور محددة هي: الطلاق، وقصاص الجروح، ورجم الزانية، وهذه الأناجيل التي بأيدي النصارى لم يملها عيسى(ع) ولم تنزل عليه وحيًا، ولكنها كتبت بعده، وليس لها سند متصل، وقد أُعتمدت عند النصارى بموجب قرار مجمع نيقية عام ٣٢٥ م[١٢]، وفي ضوء ما تقدم اتضح الرأي المشهور، وهو أنّ كتّاب العهد الجديد استلهموا معلوماتهم من التعاليم الشفاهيّة، ودوّن كلّ واحد منهم ما وصل إليه من هذه التقاليد الشفويّة في كتب، وكانت هذه الكتب في بداية القرن الثاني الميلاديّ تتجاوز المئة، وقد حاولت الكنيسة جمع ما تراه مناسبًا لتعاليمها ووضعته في كتاب واحد هو العهد الجديد، ورفضت الكثير من الكتب الأخرى.

المطلب الرابع: التعريف بالمصدر.

الأصل في اللغة: الأصل جمعه أُصولْ وهو: أسفل الشيء وقاعدته [١٣].

فأصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائره وقد تأصّل أي كذا أصله وجحد أصله،أي فلان لا أصل له ولا فصل[١٤]، ومنه قوله تعالى: {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} سورة إبراهيم الآية ٢٤، ويقال: استأصلت الشجرة، أي ثبت أصلها، ورجل أصيل، أي له أصل وأنّه ثابت الراي عاقل، ورأيٌ أصيل، أي له أصل[١٥]، فالأصل لغةً يُطلق على كلّ ما يبتنى عليه الشيء ويستند إليه غيره ويتفرع عنه، فالأب أصل الولد، والأساس أصل الجدار والنهر أصل الجدول، وأُصول الأشجار مقابل الثمرة، وأُصول مسائل الإرث مقابل الفروض وغير ذلك، وقد يُعبر عن الأصل بالقاعدة.

الأصل في الاصطلاح: يُطلق الأصل في كلمات الفقهاء والأُصوليين والمُحدّثين والعلماء بشكلٍ عام، إلى معانٍ متعددة:

١-الأصل هو: ما يتفرع عنه، من قبيل من أنّ الحجّة تقوم على الفرع فيثبت، ولا تقوم على الأصل فلا يثبت [١٦].

٢-الأصل هو: المبدل منه، وذلك كقولهم: إذا بطل الأصل يصار إلى البدل.

٣-الأصل هو: الدليل، ومن ذلك أدلّة الفقيه: وهي الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

المبحث الثاني: التوحيد في نصوص القرآن اعتماداً على مصدرية العقل.

يعتبر الدين الإسلامي من أبرز الأديان التوحيدية التي دعت إلى التوحيد الخالص ورفض الشرك بجميع صوره الظاهرية والباطنية، ومن الملفت للنظر أنّ القرآن اعتبر التوحيد من التعاليم الفطرية التي أودعها الله تعالى فيها، ففي قول الله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} سورة الروم الآية ٣٠، إذ ذهب صاحب تفسير الميزان، أنّ لهذا الدين أصلٌ في الكون والخلقة، وليس الإيمان بالتوحيد هو متأصل بالخلقة وإنما التسليم والطاعة لما يترتب على الإيمان بالتوحيد[١٧]، وهكذا ذهب أكثر المفسرين إلى هذا المعنى ومنهم التوحيدي[١٨]، وقد استعمل القرآن الكريم أساليب متعددة في تثبيت عقيدة التوحيد في عقول الناس، ويمكننا إيجاز هذه الأساليب بالمحاور الآتية:

المحور الأول: الأسلوب الواضح والصريح الذي لا يقبل التأويل في حصر الآلهة في إلهٍ واحد وتوجيه العباد إليه: كما جاء في قوله تعالى في مناسبات متعددة نذكر منها: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ} سورة البقرة الآية ١٦٣.

المحور الثانيّ: الأسلوب الإستدلالي الذي اعتمد مصادر المعرفة منطلقاً لإثبات وحدانية الله كما جاء في قوله تعالى: { أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } سورة النمل الآية ٦١.

ففي هذا المبحث سوف نبحث التوحيد بهذين الأسلوبين كما ورد في الآيات القرآني.

التوحيد في القرآن الكريم [١٩].

إنّ المسلمين يعتقدون وبحسب ما جاء من نصوص في القرآن الكريم الذي وصل إليهم بالتواتر، أنّ الله تعالى واحدٌ أحد، ليس كمثلهِ شيءٌ، سميعٌ بصيرٌ عليمٌ حكيمٌ حيٌ قيومٌ عزيزٌ قُدوسٌ قادرٌ غنيٌ لا يوصف: (بجوهرٍ ولا بجسمٍ ولا صورةٍ ولا عرضٍ ولا خطٍ ولا سطحٍ ولا ثقلٍ ولا خفةٍ ولا سكونٍ ولا حركةٍ ولا مكانٍ ولا زمانٍ)، وأنهُ تعالى متعالٍ عن جميعِ صفاتِ خلقهِ، خارجٌ من الحدينِ، حدُ الإبطالِ وحدُ التشبيهِ، وأنّهُ تعالى شيءٌ لا كالأشياءِ أحدٌ صمدٌ لمْ يلدْ فيورث، ولمْ يولدْ فيشارك، ولمْ يكنْ لهُ كفواً أحد، ولا ندَ ولا ضدَ ولا نظيرَ ولا شريكَ له، لا تدركهُ الأبصارُ والأوهامُ وهوَ يُدركُها، لا تأخُذه سنةٌ ولا نومْ وهو اللطيفُ الخبير، خالقُ كلِ شيءٍ لا إله إلا هو لهُ الخلقُ والأمرُ تباركَ اللهُ ربُ العالمين، وبحسب الأسلوب الذي يعتمد على ظواهر القرآن الكريم ينقسم التوحيد الى أقسام:

أولا: توحيد الذّات: إنَّ الله تعالى لا يقبلُ القسمةَ العقلية ولا القسمة الوهمية، وليست الوحدانية وحدانية عددية، أي واحدٌ بلا عدد، كقوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} سورة المائدة الآية ٧٣، وليست الوحدانية نوعية أن يقال: الله تعالى فرد من النوع المشار إليه، مثلما يقال: إنّ زيداً فرد من أفراد النوع الإنساني، والمقصود من التوحيد الذاتي هو أنّ الله لا شريك له ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل، فالذات الإلهيّة تكون بحيث لا تقبل التعدد والتكثر، وهذا يعني أنّ ذاته تعالى بسيطة أحديّة سرمديّة، ومن المحال تركّبه؛ أيّاً كان التركّب؛ لأنّ التركيب دليل الفقر والحدوث، والله تعالى أحديُّ الذات، وليس في ذاته أجزاء

بسيطة أحديّة سرمديّة، ومن المحال تركّبه؛ أيّاً كان التركّب؛ لأنّ التركيب دليل الفقر والحدوث، والله تعالى أحديُّ الذات، وليس في ذاته أجزاء وتراكيب، فهو بسيط الحقيقة لا تكثّر ولا تعدد في ذاته سبحانه.

والآيات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ (لا إله إلّا الله) وما شاكلها ناظرة إلى وحدانيّة الذات الإلهية، ونفي المثيل والنظير له تعالى، ومن تلك الآيات قوله تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} سورة آل عمران الآية١٨،وقوله تعالى: { لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ } سورة محمد الآية ١٩، وقوله تعالى: { لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ } سورة الأنبياء الآية٨٧، وقوله تعالى: { لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ } سورة النحل الآية٢، وكذلك قوله تعالى: { لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} سورة الحشر الآية٢٢، وقوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} سورة الإخلاص الآية ١-٤، وللتعرف على التوحيد الذاتي، نذكر في تفسير سورة التوحيداو الاخلاص) أقوال بعض المفسرين:

الرازي في تفسير هذه السورة: سميت هذه السورة بسورة المعرفة، أي معرفة الذات الإلهية المقدسة، وقال، في قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللهُ أحدْ}، مسائل نذكرُ منها: هو الله أحد، ألفاظ ثلاثة وكلُ واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات الطالبين، فالأول هو مقام المقربين، وهؤلاء هم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي، فما رأوا موجودًا سوى الله لان الحقَّ هو لذاته يجب وجودهُ، أمّا ما عداه فمحدود الماهية ومحتاجٌ إلى من يوجده، وأمّا المقام الثاني فهو مقام أصحاب اليمين، حيث تيقنوا بوجود الخلقَ والخالق، وأدركوا الحاجة والإفتقار عند المخلوقات، وأدركوا الغنى المُطلق عند الخالق، والمقام الثالث وهو مقام أهل الشمال وهو أخسُ المقامات وأدونها[٢٠].

السيد الطباطبائي في تفسير السورة: السورة تصفه تعالى بأحدية الذات ورجوع ما سواه إليه في جميع حوائجه الوجودية من دون أن يشاركه شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهو التوحيد الذي جاء به القرآن الكريم، يُبنى عليه جميع المعارف الإسلامية، وقوله تعالى: {قُلْ هُو اللهُ أحدْ }، الأحدُ وصفٌ مأخوذٌ من الواحد، غير أنّ الأحد إنما يُطلق على ما لا يقبل الكثرة لا خارجًا ولا ذهنًا، ولذا لا يقبل العدَ، بخلاف الواحد له ثانيًا وثالثًا إما خارجياً أو في الذهن [٢١]، ومما تقدم فإنّ هذه الآيات تدلّ بحسب ظواهرها وبحسب ما ذكرنا من أقوال المفسرين بوحدانية الله تعالى، ونفي المثيل والشبيه والشريك عن ذاته سبحانه وتعالى.

ثانيًا: توحيد الصفات: المقصود منها صفات الذات، وليس صفات الفعل، فصفات الذات هي عين ذاته تبارك وتعالى كالعلم والقدرة والحياة والقيومية، ومن البديهي إنّ تعدد الصفات يؤدي إلى التركيب والتجزئة، والتركيب يستتبع حاجة وافتقار المركب إلى الأجزاء، كما يستلزم زيادة الصفات على الذات، ويستلزم ذلك افتقاد الذات لصفات الكمال محتاج لمن يفيض عليه بتلك الصفات، وهذه الحاجة والافتقار يتناقض مع كون الذات المقدسة غنياً بالذات، ولقد قسّموا الصفات الثبوتية إلى قسمين منها:

١ -الصفات الحقيقية الكمالية، كالعلم، والقدرة، والغنى، والحياة، والقيومية...وهي كلها عين ذاته تبارك وتعالى، وهذه الصفات ليست بزائدة عن ذاته، وليس وجودها إلا وجود الذات، لأنها لو كانت مختلفة في الوجود، وهي بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات للزم تعدد واجب الوجود، واختلت الحقيقية بين الذات والصفات، وهذا ينافي عقيدة التوحيد التي جاءت ظواهر النصوص القرآنية مؤكدةً عليها كقوله تعالى: { اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } سورة البقرة آية الكرسي ٢٥٥.

٢- الصفات الثبوتية الإضافيّة، كالخلقية، والرازقية وغيرها، وهذه الصفات هي التي يكون مفهومها مفهومًا إضافيا، ويتوقف انتزاعه على وجود طرف آخر، ذلك لتقوّمها بالطرفين من الخالق والمخلوق، والرازق والمرزوق وهكذا بقية الصفات الذاتية الإضافية، فهذه الصفات معانٍ اعتبارية انتزاعية لا حقائق عينيّة. فالذات الإلهية المقدسة واجدة لجميع صفات الكمال؛ لأنّ الخلو عن الكمال نقصٌ، والنقص منفيٌّ عن الواجب لله تعالى، فذاته عز وجل منزّهةٌ عن جميع صفات النقصان، وقد أكدت ظواهر النصوص القرآنية هذا المعنى بقوله تعالى: { عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } سورة سبأ الآية ٣، وحول قدرته دلت النصوص القرآنية عليها كقوله تعالى:{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} سورة فاطر الآية ٤٤، وحول بقاءه قال تعالى: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} سورة الفرقان الآية٥٨، وغيرها من الآيات التي دلت بظواهرها على غنى الذات الإلهية بكل الصفات الثبوتية الذاتية والإضافية، كالسمع والبصر ولإدراك والتكلم والإرادة، وغيرها من صفات الكمال الإضافية، ومما ورد في هذه الصفات التي دلت عليه ظواهر القرآن نذكر بعضًا منها: توحيد الألوهية: كما صرح به القرآن الكريم في أكثر من آية، والمقصود من الأُلوهية هو المعبود الذي تألف إليه القلوب بالتسليم والطاعة، كما في قوله تعالى: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } سورة البقرة الآية ١٦٣، توحيد الربوبية: ولقد جاءت الكثير من الآيات القرآنية تخبرنا على هذا النوع من التوحيد، كما في قوله تعالى: { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } سورة الأنعام الآية ١٦٤، توحيد الخلقية: وقد أشارت آيات القرآن على وحدانية الله في خلقه، فهو الخالق لكل شيء سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } سورة الزمر الآية ٦٢، توحيد العبادة: كما ذكرت الكثير من الآيات وجوب توحيد الله في العبادة وتنزيهها من أنواع الشرك الخفي، كما قال تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } سورة الفاتحة الآية ٥، { قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } سورة المائدة الآية ٧٦. التوحيد في الأمر والحاكمية: لقد دلت بعض الآيات على أنّ الأمر والحكم كله لله وبيده سبحانه وتعالى، كما جاء ذلك في قوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } سورة الأعراف الآية ٥٤، التوحيد في الخوف والخشية: كما صرحت بعض الآيات، أنَ الخشية والخوف يجب أن تتمحور بالله وحده لا شريك له، كما جاء ذلك في قوله تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} سورة آل عمران الآية ١٧٥،

التوحيد في المُلك: كما جاء التأكيد عليه في بعض الآيات كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} سورة الاسراء الآية ١١١.

التوحيد في النفع والضَّرر: كما ورد التأكيد على هذا النوع من التوحيد في قوله تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا} سورة الفتح الآية ١١،

التوحيد في الرزق: أشار القرآن الكريم في بعض الآيات إلى التوحيد في الرازقية، كما في قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} سورة سبأ الآية ٢٤،

التوحيد في التوكل: كما ورد ذلك في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} سورة التغابن الآية ١٣،

التوحيد في العمل: وقد جاء التأكيد على اخُلاُص العمل وارتباطه بالله تعالى كما في قوله تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} سورة الليل الآية ١٩-٢٠، التوحيد في التوجه: وقد ذكره الله تعالى في القرآن كما جاء في قوله تعالى: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} سورة الأنعام الآية٧٩،

ثالثًا: التوحيد في الأفعال: تؤكد ظواهر النصوص القرآنية في أغلب الأحيان على مسألة التوحيد الأفعالي والتوحيد العباديّ، ولقد ذكرنا فيما تقدم النصوص القرآنية التي تنقل لنا عن الصفات الذاتية الثبوتية الحقيقة والصفات الثبوتية الكمالية الإضافية، وكيف أنها متجذرةٌ بفعل الله تعالى، وفي هذا القسم سوف نبيّن ما هو المقصود من أفعال الله تعالى، وما هي النصوص الدالة عليه [٢٢]، إنّ التوحيد الأفعاليّ يعني أنّ الأفعال التي يقوم بها الله سبحانه لا يحتاج فيها إلى مُعين أو أي جهة تساعده عليها، فهو تعالى مستقلٌ في أداء أي فعل استقلالاً مطلقًا؛ لأنه سبحانه وتعالى قد أوجد الفعل وخلق من يقوم بمقدماته وأسبابه، فإذا صادفنا عملاً يتمّ أداؤه وفق الأسباب والمقدمات، فلا بد أنّ يكون حاضرًا عندنا، بأنّ الله الذي أوجد الأسباب، وأنّ الله خلقّ من يقوم بتهيئة هذه الأسباب والمقدمات، لا أنّ الله محتاجًا إلى أسباب خارجًا عن ذاته، فأفعال الله هي في فعله واحده، وقد قسمّ العلماء التوحيد الأفعالي إلى أقسام نذكرها [٢٣]:

١-التوحيد في الخلقية: المقصود في هذا التوحيد، أنّه ليس في عالم الوجود إلا خالقٌ أصيلٌ مستقلٌ واحد، وإمّا تأثير العلل الأخرى وفاعليتها، فليست إلا في طول خالقيّة الله وليته وفاعليته وسائرةٌ بإذنه، وفي النظر في الآيات قرآنية يتضح لنا أنّ المتبادر من ظواهر هذه المعاني الذي ذهبنا إليه، ومن تلك الآيات قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} سورة فاطر الآية ١، وقوله تعالى: {لِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ} سورة الأنعام الآية ١٠٢، وقوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} سورة لقمان الآية١١، وقوله تعالى: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} سورة الرعد الآية ١٦.

وأيُّ مدعي للخلق والخلقية فهو لغيره محتاج، فالمتصف بها يكون معتمدًا على الله لا محال، ومحتاج إلى إرادة وقدرته سبحانه وتعالى، فسوف تكون خالقية غير مستقلة، بل تابعة لقدرة الله كما يؤكد ذلك القرآن في قول نبيّ الله عيسى{ع}: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ} سورة آل عمران ٤٩ .

ما قاله الرازي في شأن هذه الآية: إنّ هذه الآية تدل على أنه{ع} كان رسولاً إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود، إذ ادعوا إنه مبعوث إلى قومٍ مخصوصين منهم، والمراد بالآية الجنس لا الفرد، لأنه تعالى في عدد أنواع من الآيات، وهي إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار عن المغيبات فكان المراد من قوله: {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} الجنس لا الفرد، والله حكى هنا خمسة أنواع من المعجزات، وكلها كانت بإذن الله كما فيما جاء من ذيل الآية[٢٤].

٢-التوحيد في الربوبية: من المعلوم إنّ تدبير هذا العالم هو بيد الله سبحانه وحده، ومعنى الربوبية تعني تدبير وإدارة هذا الخلق وتصريف شؤونه، وتدل ظواهر القرآن على هذا المعنى، كما في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} سورة يونس الآية ٣،وقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} سورة الرعد الآية ٢.

٣-التوحيد في العبادة: خصّ القرآن الكريم هذا النوع من التوحيد بأهمية كبيرة، وهو أصلٌ مشترك بين جميع الشرائع السماوية، كما ذكر ذلك في قوله تعالى: {قُل يا أَهلَ الكِتابِ تَعالَوا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَينَنا وَبَينَكُم أَلّا نَعبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا} سورة آل عمران الآية ٦٤،والمقصود بهذا التوحيد هو أن نجعل عبادتنا خالصةً لله، ولا نُشرك في هذه العبادة معه مخلوقًا له تعالى، ونجتنب عبادة غيره مما يكون مخلوقًا له تعالى، وهذا في مقابل الشرك بالعبادة الذي يعني أن يعبد الإنسان برغم اعتقاده بوحدانيّة خلق هذا الكون مخلوقًا لأي سبب كان، ومن المعلوم أن العبادة هي الخضوع عن اعتقاد بألوهية المعبود وربوبيته، وهذا ما أكدت عليه ظواهر الآيات الكريمة في قوله تعالى: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} سورة آل عمران الآية ٦٤، وقوله تعالى: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} سورة يوسف الآية ٤٠.

المطلب الأول: التوحيد والعقل في نصوص التوحيد في القرآن.

لا يستطيع أحد أن ينكر دور العقل في تحصيل المعرفة، ولكن على ضوء الخلاف بين الحسي والعقلي في النظرة الى العقل وعلاقته بطرق المعرفة الأخرى، فقد حصل الخلاف بينهم في تفسير هذا الإدراك الذي هو ثمرة من ثمرات وجوده، وهذه المسألة لا يُحسم حلها إلا عن طريق اختيار المنهج القرآني باعتباره يتميز عن المذهب الحسي والعقلي، وذلك في ضوء الدور الذي يلعبه العقل باعتباره مُعلّمٌ من الخالق تعالى، إذ إنّ الإنسان يتميّز عن باقي المخلوقات بقدراته الإدراكية، وهي من المسائل التي أرجعها القرآن الكريم إلى أول مخلوق خلقه الله تعالى، وميزه بالإدراك عن سائر المخلوقات، وبهذه الميزة يتفاضل بقيمته المعرفية عن المخلوقات، والقرآن قد تفرد بالإشارة إلى أصل المعرفة العقلية التي يعود إدراكه إليها ، كما في قوله تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} سورة البقرة الآية ٣١ ـ ٣٢، وقال تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} سورة النحل الآية ٧٨، وقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} سورة البقرة الآية١٦٤، {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} سورة النحل الآية ٦٩، { وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} سورة الروم الآية ٢٤ [٢٥]،وهناك أسلوب آخر استعمله القرآن الكريم في الاستفادة من القدرات العقلية؛ لإثبات وحدانية الله تعالى، وسوف نستعرض أهم الاستدلالات العقلية المستوحاة من النصوص القرآنية في إطار مصادر المعرفة التي من أهما :

برهان النظم: النظام المُتقن الذي يسود كلَّ جزء من أجزاء الكون الممتَد عبر ألاف من السنوات الضوئية، والذي يبدأ من الذرة إلى المجرة، هو الذي بعث عند أصحاب العقول بعد أن استثمروا أدواتهم المعرفية، لكي يتوصلوا في آخر المطاف، أنه من المحال أن نتصور، إنّ هذا النظم حدث عن صدفة، أو عن طريق نظرية الارتقاء، ولا بدَّ أن يخضع مثل هذا النظام البديع والمعّقد إلى قوة عاقلة عليا، وتدبير مدبّرٍ حكيم، والآيات القرآنية أشارت لهذا المعنى، فإذا كانت ورقة من أوراق الشجر، أو ذرة من ذرات العالم، هي دليلاً على حكمة الله تعالى وبرهاناً على إرادته، فهي بطريق أولى تكون دليلاً على أصل وجوده، ومن المعلوم إنّ الوجود مقدمٌ على الصفات، فما دل على الصفات فهو بالأحرى دالٌ على الوجود قال تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} سورة البقرة الآية ١٦٤.

برهان الصدّيقين: يتضمّن هذا البرهان دلالة قوية على وجود الله تعالى، فيمكن للإنسان في ضوء مطالعة واعية للوجود نفسه، عن طريق التدبر في عظيم القدرة التي أوجدت الخلق، أن يصل الى إثبات الصانع، ولهذا البرهان أصلٌ قرآني وجذور في كتاب الله الكريم، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} سورة فصلت الآية ٥٣، ولقد كان لهذا البرهان الدلالة أثرٌ في دعاء الصباح لأمير المؤمنين(ع): (يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته وجل عن ملائمة كيفياته) ، كما تعرض اليه ابن سينا في كتاب الإشارات [٢٦]، وأيضاً المحقق نصير الدين الطوسي في كتابه، تجريد الاعتقاد، الذي شرحه تلميذه العلامة الحلي[٢٧]،قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} سورة لقمان الآية ٢٥ سورة الزمر الآية ٣٨، وقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} سورة الزخرف الآية ٩، وقوله: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} سورة الزخرف الآية ٨٧، وقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} سورة العنكبوت الآية ٦١، وقوله: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} سورة العنكبوت الآية ٦٣، إنّ المتأمل في مضامين هذه الآيات، سوف يستنتج منها أنّ المجتمع الجاهلي في شبه الجزيرة العربية، وفي مكة على الأخص، كانَّ يعتقد اعتقاداً راسخاً في وحدانية الله باعتباره الخالق الحقيقي ، بمعنى أنهم كانوا موّحدين ويعتقدون بوجود الخالق، لذا فإنَّ أول موضوع طرحه الرسول(ص) على قومه هو الدعوة الى (توحيد الله) في العبادة لا الاعتقاد

بوجوده، ولأنّ غالبية مشركي العرب لم يكونوا يعتقدون بأنّ الأصنام هي الخالقة، ولا أنها مدبّرة للكون مع الله، إلا أنهم كانوا يعتقدون بأنَّ هذه الأصنام مقربةٌ لها الشفاعة لديه، ولذلك فإنَّ عبادتهم لها هو الطريق الموصل الى القرب والزلفى لدى الله تعالى، ولقد أكد القرآن شيوع هذا الاعتقاد في عدد من الآيات نذكر بعضاً منها: قوله تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} سورة يونس الآية ١٨.

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} سورة الزمر الآية ٣، وقوله تعالى: { أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} سورة الزمر الآية ٤٣.

برهان الفقر والإمكان: من المعلوم أنَّ احتياج الأشياء في ظهورها إلى الوجود هو في الحقيقة تعبير واضحٌ على افتقارها وعجزها، وإعلان حاجتها إلى من هو القادر على سد هذا النقص والعجز، فما لم تكن قوة خارجة عن ذاتها سوف لن يرتفع فقرها، إنّ هذا النظام الذي هو في غاية الدقة والإبداع، هو بحاجة إلى العلة التامة التي لها الكمال المطلق في إيجاد النظام الكوني المسبوق بالعدم، وإظهاره الى ساحة الوجود، ذلك لأنّ نسبة كل ممكن إلى الوجود والعدم على حدٍ سواء، ويسمى هذا بالإمكان في منطق علماء العقيدة والفلاسفة، ومما تقدم فإنّ المظاهر المادية، التي في ذاتها تقبل العدم والوجود، فعدم وجودها يعود لعدم وجود مقتضي لإخراجها من العدم، وكذلك يتضح عندما نقول أنّ الظواهر هي مظهر للوجود وتنجذب إليه على أثر وجود عللها، لا يعني ذلك زوال افتقارها الذاتي، بل تبقى محتاجةً دواما وبقاءً وتطوراً إلى علة وجودها، كونها متصفةٌ بالفقر الذاتي المستمر، ولأجل هذا أي (الإمكان والفقر الذاتيين) يكون الاحتياج الى العلة التامة احتياجاً أبدياً دائميًا لا تفارق طبيعتها الذاتية. ومما تقدم نستنتج أن كل الأشياء التي تتصف بالفقر الذاتي هي بحاجة إلى موجدٌ يتصف بالكمال المطلق وخالقٌ غنيٌ بالأصالة وهذا ما صرح به القرآن الكريم.، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} سورة فاطر الآية ١٥، فهذه الآية تركز على موضوع (الفقر الذاتي) في الإنسان، وكيفية احتياجه إلى علته الموجدة (الله تعالى)، وهذه بعض الآيات التي ذكَرَّت بالغنى المطلق لله جلَّ عُلاه: قال تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى} سورة النجم الآية ٤٨، وينقل القرآن الكريم إقرار موسى(ع) بالنقص والعجز عند خطابه مع الله تعالى ويطلب منه المدد والعون، قال تعالى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} سورة القصص الآية ٢٤، قال تعالى: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} سورة محمد الآية ٣٨ ، ويتكرر هذا النص في ثمانية عشر سورة .

برهان الحركة: في السابق كانّ علماء الطبيعة، مثل: أرسطو وأتباعه، يستدلّون عن طريق حركة الأجسام والأجرام الفلكية، على إثبات وجود موجد ومحرك لها، ويشترطون في هذا الموجد عدم الحركة، إذ يعتمدون على القاعدة الآتية: لا بد لكل متحرك من محرك غير متحرّك، لذا لا توجد عندنا مشكلة في إثبات الحركة للوجود، فهذا من الأمور البديهية، إذ إننا بالمشاهدة الحسية نلحظ التي هي أداة ومصدر من مصادر المعرفة، بوجود حركة الأشياء، فتساقط قطرات المطر، ونمو الأشجار والثمار بشكلٍ تدريجي، وجريان الماء، وحركة الإنسان

في سفره، وحركة الأرض في ضوء تتبع حركة النجوم بشكال تدريجي....الخ، وهناك من الشواهد القرآنية العديدة، نذكر بعضاً منها: قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} سورة يس الآية ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠، و بعد التأمل في هذه الآيات يتضح أنّ حركة الأشياء هي مبدأ أشار إليه القرآن قبل أكثر من ألف وأربعمائة، في حين أنّ العلم توصل الى هذه الحقيقة متأخراً، ويمكن لنا النظر والتدقيق في حركة الأشياء للتوصل إلى المبدأ والمصدر، وذلك في ضوء دراسة الكيفية التي تتحرك بها الأشياء للوصول إلى ضرورة أن يكون مصدر هذه الحركة له من الكمالات، ما تُأهله لإيجاد هذه الحركة واستمرارها، وكذلك يمكننا تطبيق هذا البرهان على ما احتج به إبراهيم(ع) كما جاء في قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} سورة الانعام الآية ٧٥-٧٩، استدل إبراهيم(ع) بحركة الأجرام السماوية الثلاثة على إنها لا تصلح أن تكون هي المدبّر لشؤون الأرض وحوادثها وبالخصوص حركة الإنسان في الأرض، والسؤال المهم هو: كيف ولماذا استدل الخليل بحركة هذه الأجرام على عدم كونها مدبرة أو على عدم كونها مشاركة فيه؟

المطلب الثاني: التوحيد والعقل عند علماء التفسير والكلام.

١. السيد الطباطبائي في تفسير الميزان قال: (إنّ التوحيد ونفي الشركاء، ليس مما يرجع فيه إلى بيان النبوة، فأنّه مما يستقل به العقل وتقضي به الفطرة، فلا معنى لعده فضلاً على الناس من جهة الإتباع، بل هم والأنبياء في أمر التوحيد على مستوى واحد سواء، ولو كفروا بالتوحيد فإنما كفروا لعدم إجابتهم لنداء الفطرة لا لعدم اتباعهم الأنبياء، لكن يجب أن يُعلم أنّه كما من الواجب في عناية الله سبحانه أن يُجهز نوع الإنسان مضافاً إلى إلهامه من طريق العقل الخير والشر والتقوى والفجور، بما يُدرك به أحكام دينه وقوانيين شرعه وهو سبيل النبوة والوحي). ويمكننا في ضوء هذا الاقتباس التوصل إلى الحقائق فيما يتعلق بالتوحيد والعقل بالنقاط الآتية:

•إنّ الرسالة التي أتى بها الأنبياء تتضمن التبليغ والإنذار، وليس من مهماتهم أن يطلبوا من الناس أن يُقلدونهم في الأُصول الاعتقادية، فإنّ التوصل إلى الإعتقاد بهذه الأصول موكولٌ للفطرة والعقل.

المبحث الثالث: مفهوم التوحيد في التوراة.

المتابع بدقة في نصوص العهد القديم يتبين له أن في نصوصه يتجلى التوحيد بكل أبعاده، فهذه النصوص تتحدث عن إله (الآب) وهو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فإنَّ الله عندما اختار موسى رسولاً إلى فرعون خاطبه بالقول: (أنا إلهُ أبيك، إبراهيمَ وإلهُ إسحاقَ وإلهُ يَعقوبَ) [٢٨]، فغَطَّى موسى وَجهَهُ؛ لأنهُ خافَ أن ينظرَ إلى في تفسير الكتاب المقدس: للقمص تادري يعقوب ملطى: لقد جاء في تفسير هذا النص، إذ بارك إسحاق ابنه يعقوب أوصاه ـ كطلب رفقه ـ أن ينطلق إلى خاله

لابان ليتزوج من بناته زوجة له تقدر أن تسنده في طريق إيمانه، ولا يرتبط كأخيه ببنات حث الوثنيات... وفي الطريق انفتحت السماوات ليرى يعقوب سلّمًا رأسه في السماء وملائكة الله صاعدون ونازلين عليه، والرب واقف عليه.. وإذ استيقظ من نومه مسح الحجر الذي كان مستندًا عليه؛ ليكون عمودًا في بيت الله.

تفسير الكتاب المقدس: للقس أنطونيوس فكري: ظهرت عناية الله بأولاده في صورة واضحة، ومتكررة وبخاصة في حياة يعقوب، فالله لا يترك أولاده ويتخلى عنهم أن بدرت منهم أخطاء، بل يؤدبهم بضيقات يسمح بها، حتى ينزع منهم شرورهم، ويعقوب بالرغم من ضعفه ومكره كان مشتاقًا للبركة، عينه على السماء وعلى الله، وكل من كان مثله لا يتركه الله، بل يجذبه ويعتني به، بالرغم من خطاياه (تك ٤٨: ١٥)، ويستمر الله سامحًا له ببعض الألآم حتى يتكامل. فهو كان معتمدًا على مكره وذكائه. ونجد الله قد سمح له بالألآم، حتى يتخلى عن هذا، ويلقي كل رجاؤه واعتماده على الله، فرحلة يعقوب إلى خاله لابان وزواجه من محبوبته راحيل، تمثل تجسد المسيح وقدومه إلينا إلى أرض غربتنا؛ ليتخذنا له عروسً، إمَّا إسحاق في زواجه من رفقة فيمثل المسيح في سمائه، على أننا نجد راحيل وقد أخذها يعقوب إلى كنعان، لكنها ماتت في الطريق على رجاء القيامة، وهذا ما يحدث معنا الآن فنحن نموت إنتظارًا للقيامة، إمَّا رفقة التي تمثل الكنيسة في السماء فستكون حية للأبد لا يذكر موتها أي موت رفقة [٢٩]، فالشريعة التي جاء بها موسى(ع) تؤكد بشكل واضح وجلي على وحدانية الله سبحانه، وحتى الأنبياء الذين جاءوا من بعده، والمذكورون في العهد القديم يؤكدون هذه الحقيقة، وكان لهم دوراً كبيراً في تثبيت هذه العقيدة في نفوس بني إسرائيل، فنجد في سفر اشعياء أن (يهوه) هو الإله الحقيقي، وهو الأول والآخر وأنكر سلطان الإله الأخرى ووجودهم، يقول اشعياء النبي:(هكذا يقول الرَّبُ مَلكُ إسرائيل وفاديهِ، رَبُّ الجُنُودِ أنا الأولُ وأنا الآخرُ، ولا إلهَ غَيري، ومن مثلي يُنادي فَليخبرْ بهِ ويعرضهُ لي... فأنتم شهودي، هل يوجدُ إلهٌ غيري؟ ولا صخرٌ لا أعلمُ بها، الذين يُصوّرونَ صنماً كُلُهم باطل)[٣٠]، ويقول أيضا:(حقاً أنت إلهٌ مُحتجبٌ يا إله إسرائيل المخلص، قد خزوا وخجلوا كلهم...الصانعون التماثيل...؛ لأنه هكذا قال الرب خالقُ السماوات هو الله، مصور الأرض وصانعها، لم يخلقها باطلاً... أنا الرب وليسَّ آخر)[٣١].

كما قال: (اسمعوا لي يا بيت يعقوب وكلُ بقيةِ بيتِ إسرائيلَ، المُحَمَّلينَ عليَّ من البطنِ المحمولينَ الرَّحم، بمن تشبهونني وتسوّونني وتمثلونني لنتشابه، الذين يفرغون الذهب من الكيس والفضة يستأجرون صائغاً ليصنعها الها يخرّون ويسجدون... فهو موضعه لا يبرح، يصرخ أحد اليه فلا يجيب، اذكروا هذا وكونوا رجالاً، رددوه في قلوبكم، أني أنا الله وليس آخر)[٣٢]، ومن يقرأ سفر المزامير المنسوب للنبي داود(ع) يجد فيه تعاليم كثيرة كلها تُشير بأن يهوه هو خالق السماء والأرض، وهو الرب الذي يستجيب من يستغيث به لا إله غيره فقد جاء في قوله (لأنَّ الربُ عظيمٌ وحميد جداً مهوب هو على كل الآلهة، لأن كل أله الشعوب أصنام، أما الرب)[٣٣]. ومن الجدير ذكره أن موسى بن ميمون قد وضع ثلاثة عشر ركناً للدين اليهودي أولها التوحيد، وأعطاه معنى

قريب من معنى الأُلوهية، والتوحيد في الإسلام فقال: (أنا أؤمن إيماناً تاماً أنَّ الخالق تبارك اسمه ليس جسداً وهو منزهٌ عن أغراض الجسد، وليس له شكل مطلقاً أنا أؤمن إيماناً تاماً أن به تليق الصلاةَ والعبادة ولا تليق بغيره، أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه وحيد ليس لوحدةٍ إنيّته مثيل على أي وجه كان، أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه هو الأول وهو الآخر). فعلى ما تقدم نستطيع القول إن عقيدة التوحيد في العهد القديم يقترب إلى حد كبير من الفهم التوحيدي الذي جاء به القرآن الكريم في ضوء المضمون، لكن يختلفان من حيث الأسلوب البياني وبعض التفاصيل التي تفرد في بيانها القرآن الكريم، كشمولية التوحيد، ومصادر المعرفة، والإسلوب الإستدلالي، وغيرها من أوجه الإختلاف، لكن هذه العقيدة انتكست في عصر تدوينهم لأسفار التوراة، فنجد أن العهد القديم يطرح رؤى متناقضة للإله فيصفه بالكائن البشري، فهو يأكل، ويشرب، ويتعب، ويستريح، وينسى، ويتذكر[٣٤].

الفيلسوف اليهودي سبينوزا في عقيدة التوحيد عند اليهود.

إنّ العقيدة الحاخامية في الذات الإلهية تبلورت في ضوء فهم خاص لظواهر النصوص التي جاءت بها التوراة وما لحق بها من نصوص في التلمود، فنحن نشك في أنها عقيدة صالحة في ضوء هذا المسار، إذ كانت ممثلة لما جاءت بها نصوص التوراة، وأوضح دليل على ذلك ما صوره لنا الفيلسوف اليهودي (سبينوزا) [٣٥]، في عقيدة الإله الواحد، ويرى سبينوزا أنّ الكون يُعبر عن حقيقة شاملة اسمها (الله)، فاللهُ عنده الطبيعةُ الطابعة، والكون يُسمى عنده الطبيعة المطبوعة، وننقل ما قاله لأهميته: (إنَّ ما ينبغي فهمه بالطبيعة الطابعة هو ما يكون في ذاته ومتصوراً بذاته، أعني صفات الجوهر تلك التي تعبر عن ماهية أزلية لا متناهية، وأعني بالطبيعة المطبوعة كلُ ما ينتج عن وجوب الطبيعة الإلهية، أي كل ما ينتج عن وجوب كل صفة من صفات الله، وأعني بها أيضاً كل أحوال صفات الله باعتبارها أشياء موجودة في الله، ولا يمكنها بدونه أن توجد، ولا أن تتصور)، ولما كان الله هو الجوهر الأوحد كان اتصافه بالحرية المطلقة بتعينه لذاته فيقول: (لا يوجد خارج الله أو داخله أي علة كيما تحثه على الفعل، باستثناء كمال طبيعته الشخصية)، ويُعد الله ـ عند سبينوزا ـ علة محايثة للعالم، إذ يقول: (كل ما يوجد إنما يوجد في الله، ولا يمكن لأي شيء أن يوجد أو يُتصور بدون الله) فالله كاملٌ وشاملٌ كل الشمول، ومن ثَم فليس له انفعالات وعواطف مثلنا تُحدثها أشياء خارجية، ولأنه كامل وتام فلا يمكن أن يرغب في شيء، لذا ليست له غايات ولا خطط يرغب في تنفيذها، لأنَّ الله يعرف كل شيء، فلا يحتاج إلى كل ذلك، ومن ثَم ليس له عقل بالمعنى الإنساني[٣٦]، ولكن اليهود على الرغم من إقرارهم بالوحدانية لله تعالى، إلا أنّ لهم تصورات للماهية الإلهية قد تبتعد كثيراً عن مفهوم التوحيد الحق لله سبحانه وتعالى، لذا كانّ من الضروري التطرق إلى تفاصيل هذه العقيدة عند اليهود ، وإنّ من يقرأ العهد القديم يجد فيه من الوضع والتدليس، ما لا يمكن تأويله وتوجيهُ، لأنّ الآيات المنسوبة إلى الكتاب المقدس ليست قابلة للتوجيه، وفيها من المضامين المسيئة لصفات الله الذاتية والجمالية، وهذا ما سيكون له آثار مضللة على الأبعاد المعرفية التي تُوصل إليها من النصوص الصحيحة في العهد القديم، والتي تنسجم مع التوحيد الخالص إلى درجةٍ كبيرة، والتي بينت في المبحث السابق.

العقل: من الواضح إنّ الإنسان استعاد ثقته بإمكانية التوصل إلى المعرفة، بعد أن وجد أمامه تيارات فكرية متعددة يؤمن كل منها بأولوية أحد المصادر أو الوسائل المؤدية للمعرفة، فهناك من يرى أنّ المعرفة لا تتحقق إلا بوسيلة واحدة، وهناك من يؤمن تحققها بمصادر أُخرى، غير أنهُ يثق بواحدة منها توصله إلى الحقيقة اليقينية.

وسنتحدث هنا عن أهم مصدر للمعرفة، وهو: العقل

المطلب الأول: التوحيد والعقل في نصوص التوراة.

في أسفار العهد القديم توجد نصوص فيها دلالات على الحث والتأمل والنظر وإن جاءت على نحو الجمل الخبرية، فقد ورد ما نصه : (فعلم اليوم في قلبك أنّ الرّب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه)[٣٧]، فهذا النص يحث على التأمل والبحث عن الحقيقة التوحيدية، وإنْ جاءت بصيغة الأخبار، ومن المعلوم أنّ الحواس الخمسة من مصادر المعرفة، فقد يأتي لفظٌ من النصوص من قبيل (اسمعْ، انظرْ) في التوراة يتضمن نحو من المعاني الإشارية الدالة على البصيرة القلبية، كما جاء في سفر الأمثال: (المُقتَني الحِكمَةَ يُحبُ نفسهُ، الحَافِظُ الفَهْم يَجدُ خيْرًا)[٣٨].

يقول أنطونيوس فكري: الفقير السالك بكماله خير من ملتوي الشفتين وهو جاهل، أيضًا كون النفس بلا معرفة ليس حسنًا والمستعجل برجليه يخطأ، حماقة الرجل تعوج طريقه، وعلى الرب يحنق قلبه، نجد هنا مقارنة بين طريق الحق وطريق العناد والجهل، وخير للإنسان أن يسلك باستقامة وهو فقير مجهول، من أن يكون غنيًا لكنه جاهل لئيم شرير، فالفقير السالك باستقامة سيكون محبوبًا من الناس وله بركة ونعمة من الله، أمَّا الغني الذي له لسان ملتوٍ وشرير فلن يجد من يحبه، ولن يجد بركة من الله، ويتكلم عمن يسلك بدون معرفة، وليس حسنًا للإنسان أن يندفع ويسلك في طريق بدون معرفة وإلا سيكتشف مؤخرًا أنه أخطأ، (بل أن النفس التي بلا معرفة لن تتميز عن الحيوانات)[٣٩]، والنفس هي من الله، فإن تُبقي النفس بلا معرفة لله فهذا خطر على النفس وشرٌ لها، بل هو حكمٌ بالموت عليها ومن ليس له معرفة يندفع في تصرفاته وقراراته [٤٠]،وجاء في سفر الأمثال: (طوبَى للإنسانَ الَّذي يَجدُ الحِكمَةَ، وَللرَّجُل الَّذي يَنالُ الفَهمَ) [٤١]،وجاء في سفر يعقوب: (مَنْ هوَ حَكِيمٌ بَينَكُمْ، فَلْيُرَ أعملهُ بِالتَّصَرف الحَسَن في وَدَعَةِ الحِكْمَةِ) [٤٢]،وهناك نصوص يستدل بها عن طريق العقل للوصول إلى معرفة الله وتوحيده، نذكرها تباعًا:

الاستدلال على وجود الله تعالى في نصوص التوراة.

إنَّ هذه النصوص وما ورد من تفسير نموذجٍ منها تتضمن النقاط الآتية:

١ـ ابتدأت النصوص بالتأكيد على كسب المعرفة، ويدل على أهميتها، وهذا يبعث الحماس في القدرات العقلية والحسية للبحث عن المصدر والمنبع الحقيقي للمعرفة في ضوء الذات والصفات والأسماء، ومما يؤكد هذا الآمر، إنّ بني إسرائيل لا يعلمون أنّ الرب هو نفسه الإله الواحد سبحانه وتعالى أمَّا عن قصد أو عن جهل.

٢ـ لعـل المراد من هذه النصوص هو الإبلاغ، وما عليهـم إلا الطاعة والتسـليم، والبـدأ بالعمل واستثمار المصادر المعرفية للتوصل إلى معرفة الله تعالى.

٣ـ ويمكـن أن يكـون هذا النص، أمـراً موجهاً إليهـم بالتفكـر والنظر بحسـب قدراتهـم العقلية والحسية، لكي يُثبتوا أن الربَّ هو الإله الواحد.

إذا نظرنـا إلـى هذه النقاط فهـي تنقل لنا أهمية النظـر والتفكـر، وهذا مـا نريد الوصـول إليه، ومـن جهةٍ ثانيـة أنّ الصيغ التي جـاءت بها هذه النصوص مثلاً (اسـمع، طوبـى، من هو الحكيم) عندمـا تصدر مـن الوحي، لا شـك إنها سـوف تبعث في الإنسـان الرهبة والخـوف، فيندفع هذا الإنسـان وبكل حماس للبحث عن ينبوع المعرفة وهو الله تعالى، مسـتعملاً كل الوسـائل المعرفية المتاحة عنده، من حواس، وقدرات عقلية، وخبرة سـابقة، وحتى التجربة الماديـة إذا كانت توصله إلى المعرفة، وإذا دققنا النظر في هذه الخطوات، نرى إنها مشـابهة إلى الخطوات التي يسـتعملها علماء المنطـق للتوصل إلى الحقائـق المعرفية، وذلك في ضوء الاستفادة من المصادر المعرفية.

البرهان على وحدانيته فـي خلقه وربوبيته:إنَّ النـصّ المتقـدم الذي ورد في سـفر التثنية: (فعلم اليوم وردد في قلبك أنَّ الرّبَ هو الإله في السّماء من فوق، وعلى الأرض مِن أسفل ليس سواه).

يقـول أنطونيـوس فكري:هـو دعـوة للطاعة وهو الربط بين القسـم الأول أي سـرد تاريخ الله معهـم وعمله معهم، والقسـم الثاني وهو مراجعة الشريعة، ففي القسـم الأول يعلمهم الطاعة، وفي القسـم الثاني يعلمهم ما هـي الوصايا الإلهية التي يجـب أن يُطيعونها، وسـرد التاريخ معهم يدفعهم أولاً: لأن يشـكروا الله، ولأن يذكـروا إحسـاناته عليهم [٤٣].

يقول القمـص تادري يعقـوب: بعد أن عرض النبـي موسـى(ع) النبي لمعاملات الله مع شـعبه عبر التاريخ إلى وقوفهم عند أبواب أرض كنعان، أوضـح لهم ضـرورة الاقتراب إلـى الله، خاصة في ضـوء قبول الوصيَّة الإلهيـة، ورفض عبادة الأوثان، حثهـم على تذكر ما صنعه الله معهم في الماضي؛ لكي يعلن ذاته لهم بكونه محبًا لهم، وأنّ هـذا الإله غيـر المنظور الذي يقطـع معهم عهدًا لا يجوز اسـتبداله بحجارة لا حياة فيها أو خشـب أو أيَّة خليقة [٤٤]، وفي ضوء ما تقدم من تفاسـير لهذه الآية، وفي ضوء النظر في المعنى الظاهر، يمكن الاسـتدلال بها على وجوب معرفة الله وأنّ الخالقَيـة والربُوبيـة مُتحدةٌ به سـبحانه، فإنّ هذا النص يتضمَّن كلمات رمزية كان من الضروري التوقـف عندها وبيانها في النقـاط الآتية: إنّ لفظ (العلم) في بداية النص، فيه دلالات، فأما أنْ يكون دلالته الإخبار عـن أمرٍ ما، وهنا ما على المتلقي إلا التسـليّم والطاعة، أو أن يكـون دلالتها فضلاً علـى ما تقدم، النظر والتفكـر فهنا يكون المكلف مسـؤولاً عن ذلك، وذلك في ضوء إسـتثمار كل مصادر المعرفة للتوصل إلى معرفة الله.

المطلب الثاني: التوحيد والعقل عند العلماء الغربيين.

يُصنف العقل لدى الفلاسفة القدماء إلى صنفين، الأول: العقـل الغريزي، هـو الملكة التي يعلم بها الإنسـان الضروريات، فهو غريزة تمتلك علوما أوليـة أو مبادئ ثابتة، وإمَّا الصنـف الثاني: فهو العقل المكتسـب، الـذي يفهم به الإنسـان ويفكر- ويتفق الفلاسفة الحداثيون مع هذا التصنيف[٤٥] .

ولقـد ظهـر المذهـب العقلي الـذي وُجد داخل الكثير من الأديان، ففي اليهودية والمسيحية يؤمن العقليون مثل (سـبينوزا، وشـتراوس)، أن العقل

مقياس لحقائق الوحي، في مقابل اتباع مذهب خوارق الطبيعة الذين يرون أن حقائق الوحي لا يمكن عرضها على العقل؛ لأنها ليست في متناوله، وفي الإسلام نجد أيضاً أن المعتزلة والفلاسفة يصرون على بناء عقيدة قائمةٌ على العقل؛ ورفض ما يرونه مناقضاً له مما يرد في الوحي من نصوص.

وأما اتباع المذهب العقلي من العلمانيين فلا يلتفتون إلى الوحي، ويجعلون المفاضلة بين العقل والحس والحدس فقط، ويعتبرون العقل هو المصدر الأول في تحصيل الحقائق اليقينية، بعده في القول عن المقصود بالعّقل الفعّال، فاعتبره بعضهم الله تعالى، كالإسكندر الأفرديس، واعتبره ثامسطيون أنّه القوةُ التجريدية في العقل البشري، إذا تجرد من المادة وعوالقها[٤٦].

المبحث الرابع: مفهوم التوحيد في الإنجيل .

إنّ المسيحية تؤمن بإله واحد، فمثلاً (جورج بابوي) في معرض جوابه في كون المسيحية ديانة موحدة، إذ يؤكد إنّ التوحيد عندهم يمثل قانون الإيمان وصيغته الاعتراف بالإيمان بإله الواحد، [٤٧]، ويحاول (جورج بباوي) أن يفسر التوحيد عند المسيحية بهذا المعنى برغم أنّ دلالة لفظ الواحد لا يساعده، فيحاول تخريج ذلك بالقول: إنّ كلمة واحد ليست عبارة بسيطة، ولها معاني متعددة، فإذا تعددت كلمة واحد تعددت معاني التوحيد، فيُقسم التوحيد على حسب معنى الكلمة (واحد) إلى: التوحيد المجهول، وهو استعمال كلمة واحدة للدلالة على أنّ الله واحد غير معروف.

التوحيد المحدد،هو اعتبار أنّ الله واحدٌ مكرراً، أو واحدٌ حسابياً، أو الأول الذي يليه آخر، وهذا التقسيم باعتقادهم يخرج هذا المفهوم من الغموض، إذ قال: أنّ المسيحية تؤمن بهذا الإله الواحد في ثلاثة أقاويل، فالله موجود بذاته، ناطقٌ بكلمته الذي هو (المسيح)، وهو حيٌ بروحه، وبحسب العقيدة المسيحية لا يصح التوحيد لموحدٍ دون أنْ يعتقد بهذا[٤٨]، لذا جاءت تعاليم الكتب المقدسة في التوحيد، على طبق أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط وهو الأب والابن وروح القدس، والذي يحمل صفات اللاهوت، وأنّ لكل من الأب والابن وروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية، وأنّ كلاً منهم يستحق العبادة الإلهية، والمحبة والإكرام والثقة، فيتضح من الكتاب المقدس لاهوت الابن، ولاهوت الأب، ولاهوت الروح، كما يتضح لاهوت الأب والابن[٤٩]، وهذا الذي سبق لا وجود له في التعاليم التي تركها لهم المسيح(ع)، فنحن نلحظ في العهد الجديد فيما تشير وصايا عيسى(ع) إلى معنى مختلف تمامًا، ففي الوصية الأولى من العهد الجديد، عندما سُئل اليسوع عن أهم وأول وصية كما نقل لنا إنجيل مرقس: أي وصيةٍ هي أوّل الكلّ فأجابه يسوع: (إنّ أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الربُ إلهنا ربٌ واحد وتحب الربُ إلهك من كُل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك)، وهذه هي الوصية الأولى.

جاء في تفسير الجملة: اسمع بالعبرية شيما واليهود يعتبرون الآيتين ٤ ـ ٥ من أروع العبارات الكتابية ويرددونها دائمًا، ويسمونها شيما، والسيد المسيح استعملها بكونها الوصية

العظمى في الناموس، الرب إلهنا واحد، وهي تتضمن الوحدانية والتثليث، إذ ذكر اسم الرب ثلاث مرات، فتحب الرب إلهك من كل قلبك، فطالما أنّ الله أحب هذا الشعب، وصنع له كلّ هذا الفداء العجيب، وخلصهم من عبودية فرعون وعالهم في البرية، وأتى بهم إلى أرض الميعاد فعليهم أن يحبونه، لأنه أحبهم أولاً، وهذا ما ينطبق على عمل المسيح معنا تمامًا [٥٠].

وجاء تفسير آخر لها : تقوم علاقة الشعب بالله على أساس قبول العهد الذي فيه يعلن الله حبه الكامل والفائق للبشرية، التي من جانبها أن تلتزم بالطاعة لصوته، والشوق إلى وصيته من كل القلب، وليس فقط من الشفتين، إذ أوضح لهم ضرورة الانشغال بالوصية حين يتمتعون بالإراض الجديدة، لذا تكون الوصية باعثًا على تذكر عمل الله معهم عوض انشغالهم بالخيرات، ونسيانهم وصية الرب؛ إذ صار الشعب على وشك الدخول إلى الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، هكذا يليق بخدام المسيح أن يُقدموا وصاياه التي في ضوئها يتجلى سامعيه ، ويكون حاضرًا وسط شعبه ، لهذا ختم الإنجيلي متى إنجيله بقول السيّد المسيح:(علموها أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به وها أنا معكم كلّ الأيام إلى إنقضاء الدهر)[٥١].

إمَّا الوصية الثانية امثلها فهي: (تحب قريبك كنفسك، وليس وصية أُخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب جيداً يا معلم قلت: لأن الله واحد، وليس آخر سواه) إنجيل مرقس ١٢- ٢٩،٣٠، ٣٠، وهذا يؤكد أن التوحيد الذي وصى به اليسوع يحمل مضموناً كاملاً، فهذه النصوص يتجلى فيها توحيد الربوبية والأُلوهية، ويكون أساس الشريعة وأساس، دعوة الأنبياء جميعهم، وجاء في إنجيل يوحنا: تكلم اليسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء، وقال: (أيها الأب قد أتت الساعة... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) يوحنا ١٧: ١ ـ ٩.ففي هذه الجمل بيّن عيسى(ع) أنّ طريق النجاة الأخروية ، تتحصل في الاعتقاد والإيمان بأن الأب هو الإله الحقيقي واحدٌ ليس له مثيل ولا شبيه، وورد في إنجيل متى قصة امتحان الشيطان للمسيح: (ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً، وأراهُ جميعَ ممالَك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها أن خرّت وسجدت لي؟ حينئذٍ قال لهُ يسوع: اذهب يا شيطان، لأنه مكتوبٌ للرب الَّهك تَسجُد، وإياه وحدهُ تَعبُد) إنجيل مرقس الإصحاح ١: جملة ١٢، ١٣، إذ يؤكد المسيح في هذه النصوص أنّ السجود له والعبادة له سبحانه، ولا يجوز السجود لغيره كائناً من كان، حتى وأن كان الغير ذو منزلة ورفعة، فيؤكد هذا ما ورد في التوراة العهد القديم، فقوله: (ليس إلة إلا واحد) هو تعبير واضح وصريح عن عمق العقيدة الواحدة التي شعارها التوحيد، وهذا ما جاءت به كل الأديان وهو التوحيد الخالص الذي بعث به الأنبياء جميعهم: {لا إله إلا الله} ويؤكد ذلك هذه النصوص بأن الأب هو وحده الإله لكل المخلوقات، وورد أيضاً في رسالته الأولى إلى طيموتاوس نصه: (لأن الله واحدٌ والوسيط بين الله والناس واحد، وهو (المسيح) إنسان)، وهذه النصوص تؤكد تأكيداً واضحاً وصريحاً في إفراد الله تعالى بالألوهية، إذ تؤكد أولاً أنّ الله واحدٌ، وأنّ المسيح هو الواسطة بين الله والناس، وهو أيضاً ما تؤمن به الكنيسة اليوم، ولكنهم مع ذلك يؤمنون بعقيدة الثالوث أو التثليث، وهذا من

غريب ما نـراه من تناقـض، فبينما يعطون لله تعالى هذه الصفات المطلقة التي تنسـجم ضمناً مـع عقيدة التوحيد في الإسـلام، نراهم يؤمنون بعقيـدة التثليث ويجعلونها شـرطاً من شـروط الإيمـان، وهنا لا بد لنا أن نقف مع بعض الذين فسـروا بعض النصوص وأبعدوها عن المعنى الحقيقي الذي أشرنا إليه:

العقـل: بعـد أن بُحـث مفهـوم التوحيـد في نصـوص الإنجيل فـي العهـد الجديـد، يمكننا اسـتخلاص مصادر المعرفة في ضوء ما جاء في هذه النصوص، ففـي ضوء هذه النصوص نجد أنّ هناك مساحة واسعة يتحرك في ضوئها العقـل المعرفـي، فالعقل والحـواس، يمكن أن يكونـا حاضريـن في هذه النصوص، وسـوف نتنـاول فـي هـذا المبحث هـذه المصـادر مع النصوص التي دلت عليها.

المطلب الأول: التوحيد والعقل في نصوص الإنجيل.

العقـل مـن المصـادر الأساسـية التي جاء التأكيد عليهـا في نصوص العهد الجديد، ويبدو أنّ الهـدف؛ إثـارة العقول، وحثهـا على النظر والتأمل والبحث والتدقيق، وسـوف نتناول هذا المطلب في ضوء النصوص الآتية:

١. وصية السـيد المسيح(ع) الأولى والثانية: التأكيـد علـى اسـتثمار القـدرات العقليـة التي أودعهـا الله لنا؛ للوصـول إلى حقيقـة التوحيد الخالص. إذ سـئل عيسـى(ع) عن أهم الوصايا وأولها، كما نقل ذلـك إنجيل مرقس إذ قال: أي وصـي أوّل الـكل؟ فأجابه يسـوع: أنّ أول كل الوصايا هي: (اسـمع يا إسـرائيل، الربُ إلهنا ربٌ واحـدٌ، وتحـب الرب الهكَ مـن كل قلبك، ومـن كل نفسـك، ومـن كل فكـرك، ومن كل قدرتك)، فهذا النص جليٌ في الطلب باسـتثمار كل المصادر المعرفية للوصول إلى الغاية التي يسعى الإنسـان إليها، هي معرفة الله وتوحيده، وإشـارة هذه النصوص إلى الـدور الذي يلعبه الفكر الإنسـاني وبشـكل واضح وصريح، في مجال البحث والوصول إلى الحقائق المعرفية، التي من أهمها معرفة حقيقـة التوحيد وأبعادها المعرفيـة فـي ضـوء الاسـتفادة مـن مصادر المعرفـة، التي مـن أهما العقل، وهـذا يُبين لنا الأهمية القصوى لبلوغ هذا الهدف، الذي سعى الأنبياء(ع) إلى تهيئة الأرضية المناسـبة لذلك، فجاهدوا واصبـروا واقتحموا كل الصعاب من أجل، أن يوفروا للبشـرية فرصة التعرف على الله تعالى وتوحيده.

٢. في الوصيـة الثانية نصها: (والثاني مثلها وهي: تحبُ قريبك كنفسـك، ليس وصي أخري أعظـم من هاتين)، وهذا النص أيضاً يؤكد على أهمية مصادر المعرفة، ومن أهمها العقل الذي هو الطريق للحصـول على المعارف القطعية، التـي في ضوئها وضع الاهتمام ببناء الإنسـان وهذا ما جاء النص مؤكّدا عليه.

قـول القمـص تـادري يعقـوب في تفسـير هذا النـص: قد أوضح لهم ضرورة الانشـغال بالوصيـة حين يتمتعون بـالأرض الجديدة. لذا تكـون الوصية باعثًا علـى تذكر عمل الله معهم عِـوض انشـغالهم بالخيرات ونسـيانهم وصية الـرب، ويمكن لنا أن نقسـم الوصية إلى أربعة عناوين:

١.الوصية والأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، (١- ٣).

أمَّا بيان هذه الوصية، فإذا صار الشعب على وشك الدخول إلى الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، خشي موسى النبي لئلا تشغلهم الأرض عن الوصية، وتشغلهم بركات الرب الزمنية عن شخصه لهذا أكد بكل وسيلة النقاط الآتية:

أولاً: إن ما يقدمه لهم من وصايا أو شرائع أو أحكام ليست من عنده، إنما هي من عند الرب نفسه، إنها وصايا الرب لا موسى، هكذا يليق بخدام المسيح أن يقدموا وصاياه التي في ضوئها يتجلى في سامعيه، ويكون حاضرًا وسط شعبه، ولهذا ختم الإنجيل متى إنجيله دور الإنسان ودور الله في العهد المبرم بينهما، كثيرًا ما يكرر موسى النبي: اسمع، انظر، احفظ، اعمل، هذه هو دور المؤمن، أما دور الله فهو، يهب، ويُكثرُ، ويُبارك

ثانيًا: أن نتقبل الوصية في حياتنا العملية اليومية: (لتعلموه)، أي يعبروا بها نهر الأردن ويدخلوا إلى الأرض الجديدة كدستور لحياتهم العملية، إذ يملكون الأرض الجديدة بفكرٍ جديدٍ وشريعةٍ إلهيةٍ جديدةٍ.

ثالثًا: يقبل المؤمن الوصية ككنز يحتفظ به، ويعهد به إلى أولاده وأحفاده، يليق به أن تتحول الوصية إلى تقوى في الرب، وأن يحفظ جميع الوصايا والفرائض، فإنّ من يعلم بلسانه دون قلبه وسلوكه يكون كمن يكتب على الماء.

رابعًا: إنْ كان الشعب سيملك على الأرض المملوءة خيرات كعطية إلهية، فإنه تتبقى خيرات أعظم وعذوبة أفضل يجدها المؤمنون في الوصية.

٢.الوصية كمرافق للمؤمن أينما وُجد، (٤ ـ ٩)

يعتبر اليهود الجملتين (٤ ـ ٥) من أروع العبارات الكتابية، ويتلوهما اليهود الأتقياء مع التثنية [٥٢]، والعدد [٥٣]، على الأقل مرتين يوميًا، وقد اقتبس المسيح هذين العددين بكونهما الوصية الأولى والعظمى مع إضافة من كلِ فكرك [٥٤].

٣.الوصية والتمتع بالبركات، (١٠ ـ ١٩)، بعد أن تحدث عن ضرورة ارتباط الإنسان بكل كيانه بالوصية الإلهية التي تشغله أينما وُجد، وتحت كل الظروف، قدم موسى النبي تحذيرًا خاصًا بتجاهل الوصية عندما يتمتع الإنسان بالبركات والخيرات الكثيرة، التي في ذاتها عطايا صالحة من قبل الله، لكن إن احتلت مكان الوصية الإلهية في القلب فقدت صلاحها.

القديس يوحنا الذهبي الفم قال: عندما تبتدئون أن تغرقوا في ملذات الترف اذكروا كيف أن اللذة مقصرة، تطلعوا إلى الخسارة، بالحقيقة إنها خسارة إذ يدفع الشخص مالاً كثيرًا لما فيه ضرره ـ ليسبب له أمراضًا وضعفات ـ احتقروا الترف.

القدِّيس أوغسطينوس: هكذا يحذرنا من التراخي والإهمال، حاثًّا إيّانا على حفظ الوصية أو الجهاد فيها، فإنّ نعمة الله المجانية لا تعمل في الكسالى والمتهاونين.

٤.الوصية وتذكر التحرر من العبودية، (٢٠-٢٥) ، يؤكد موسى النبي أمرين متلازمين:

•تذكار أعمال الله الخلاصية معنا، حتى نشكر الله ونطيعه بلا تذمر.

•الشهادة لأعمال الله، خاصة في الأسرة، نشهد إننا كنا عبيدًا فخلصنا، وكنا عبيدًا لفرعون وإبليس فخلصنا [٥٥].

ومما تقدم من تفسير للنص، ومن المعنى الظاهري يمكن لنا التوصل إلى دور العقل في حفظ الوصايا التي استلهمها القساوسة والمفسرين من الوصيتين المذكورتين في هذا النص.

٣. ورد في إنجيل يوحنا:(تكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء، وقال: أيها الأَب قد أتت الساعة... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) [٥٦].

ورد في هذا النص طلب معرفة الله تعالى، والذي جاء بتعبير (إن يعرفوك)، هذه المعرفة لا تأتي من دون نظر وتأمل، وهذا يشير إشارة واضحة على أهمية العقل في اكتساب المعرفة، ومن جهة ثانية فإنّ قول يسوع: ورفع عينيه إلى السماء، أيضاً يتضمن معنى إشاري إلى التأمل في خلق الله تعالى، وهو بطبيعة الحال رسالة من يسوع فيها من الحث على تحصيل المعارف الحقة عن طريق التأمل والنظر في آيات الله تعالى.، وتضمنت المناجاة الحديث عن حياة الآخرة، التي هي مخصصةٌ لمن عرِف الله ووحده في الدنيا، فهذه المناجاة تعتبر حافزًا مؤثرا لمن وصله هذا الخطاب، أن يستثمر المصادر المعرفية، التي من أهمها العقل، وأيضاً فهي تحث الإنسان أن يبحث عن الله في آثاره وآياته، في ضوء المصادر المعرفية المتاحة عنده، ويختار البرهان الذي يوصله إلى النتيجة النهائية، وبهذه المنهجية يمكن للإنسان المتلقي فهم هذه النصوص، واستثمارها بالصورة الصحيحة للوصول أولاً: إلى معرفة التوحيد في ضوء المصادر المعرفية، وثانيًا: الاستفادة من هذه النصوص بالاعتماد على هذه المصادر، وعن طريق البراهين التوصل إلى معرفة الله وتوحيده.

المطلب الثاني: أهم الاستدلالات من نصوص الإنجيل .

يقول السيد المسيح في إنجيل متى: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض، بل لأُكمل) القمص أنطونيوس فكري في تفسير النص: صلاة المسيح في هذا الصحاح طابعها المجد، قيل إنه خرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، وقال هذا بعد أن أنهى المسيح صلاته الشفاعية في صحاح(١٧)، ووادي قدرون هذا يفصل بين الهيكل وبين جبل الزيتون، فيكون غالبًا أن المسيح قال هذه الصلاة في الهيكل، في بيت الله يقدم هذه الصلاة للآب أبيه فبيت أبيه بيت الصلاة يُدعى، وهي صلاة فيها مجد للابن وللآب، وللإنسان، فقد كان عمل المسيح الذي تممه هو أن يعطي للإنسان مجدًا. وهذه الصلاة هي طلبات مباركة رفعها الرب يسوع من أجل؛ التلاميذ ومن أجل؛ المؤمنين أعضاء كنيسته، وفيها نرى علاقة ابن الله بأبيه، وكيف أنهما واحد، جوهر واحد متحد في كيان واحد يتسامى على فهم البشر، إلا للذين يُعطى لهم الله أن يدركوا وأن يفهموا، وهؤلاء هم من الأنقياء القديسين المؤمنين الذين يفتح الله بصيرتهم ليروا بعين الروح لا الجسد [٥٧]، على الرغم من أنّ أغلب تفاسير الكتاب المقدس فسرت النص المتقدم بالكيفية التي فرضتها عقيدة التثليث عليهم، إلا أن البعض من العلماء المسيحيين أمثال (تولستوي) عارض هذا المنهج التفسيري ودعى إلى تأسيس مسيحيّة جديدة خالية من الأسرار والطقوس والميتافيزيقيا؛ أي مسيحية عملية تُصلح لأبناء الأرض جميعًا، فكان يرفض الإيمان الذي يرتبط بعقيدة التثليث[٥٨]، وبما أنّ بحثنا يدور عن التوحيد في مصادر المعرفة، فيمكننا وفي

ضوء النص المتقدم الاستفادة من بعض المفاهيم المستخرجة من هذه النص، كمفهوم الظن المقابل لليقين، ومفهوم الشريعة التي أشار إليها النص، ففي ضوء هذين المفهومين نتوصل إلى الحقائق الآتية:

١.وجوب الإيمان المقترن بالمعرفة.

٢.الشريعة التي جاء بها المسيح مُكملة للشرائع.

٣.التوحيد هو مصدر ومحور العقيدة والتشريع.، فمن المعلوم إنّ التوصل إلى هذه الحقائق المعرفية، يحتاج إلى مقدمات، التي من أهمها استثمار مصادر المعرفة في التأمل، والنظر؛ للتوصل إلى معرفة الله المُرسِل والرسول والرسالة.

وصية المسيح: ورد في إنجيل مرقص إنه جاء أحد الكتبة من أصحاب العلم من اليهود، وسأل المسيح(ع) وقال له يا معلم ماهي الوصية الأولى للكل؟، فأجابه وقال له: (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربٌ واحدٌ)[٥٩]، وورد أيضاً (بالحقّ قُلت لأنّه الله واحدٌ، وليس آخر سِواهُ) [٦٠].

القمص أنطونيوس فكري في تفسير النص: ماذا تظنون كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول وقال يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي. فأجاب وقال ها أنا يا سيد ولم يمض، فأي الإثنين عمل إرادة الآب، قالوا له الأول، قال لهم يسوع الحق أقول لكم أنّ العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به وأمَّا العشارون والزواني فآمنوا به وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرًا لتؤمنوا به، فقال له الكاتب جيدًا يا معلم بالحق قُلت لأنه إلهٍ واحد وليس آخر سواه، بل أيضًا مرقس أكد في مثال الكرامين وصاحب الإكرام أنه له ابنٌ واحدٌ وليس أبناء كثيرين [٦١]، على الرغم مما ذهب به هذا المُفسر في حصر تفسيره في كيفية إختيار الآب للإبن وإنهما واحد بشهادة النص المتقدم، إلا أننا ممكن أن نستثمر النص إستثمارًا آخر يصبُ في إثبات التوحيد الخالص وذلك في ضوء الإستفادة من مصادر المعرفة، فإنّ النص المذكور في المعنى الظاهري له فيه إشارة واضحة وجلية على وحدانية الله تعالى، لكن جاء بصيغتين مختلفتين، الأولى بصيغة الأمر التي توجب على السامع التعقل والتبصر قبل الإيمان، ومن البديهي هذا لا يمكن تحققه من دون الاعتماد على أدوات معرفية متكاملة، وفي النص الثاني جاء بصيغة إخبار عن الحقيقة بالقول، ولا مناص من سماع هذه الحقيقة، لكن سماعها يتطلب الوعي والبصيرة، وهذا يتطلب استحضار العقل والحواس والقلب الطاهر، وهو إشارة إلى أدوات المعرفة ومصادرها، وفي ضوء ما ورد من فهمٍ للنصين، نستطيع الاستفادة من أحد البراهين العقلية، وهو برهان الصديقين، وباستعمال المصادر المعتبرة في مصادر المعرفة، وفي ضوء التأمل في هذه النصوص يمكننا الاستفادة من مقدمات عقلية بديهية، توصلنا أن لا موجد لهذا الخلق إلا الله تعالى، وهكذا فإنّ هذه النصوص التي جاءت في الكتب المقدسة، هي منسجمة تمام الانسجام مع مصادر المعرفة، وأيضاً تُحفز في عقولنا السعي بتجاه البحث والنظر في التعرف على الله الأحد، ورد في إنجيل يوحنا ما نصه: (والمجدُ الذي مِنَ الإلهِ الواحدِ لَستُم تَطلُبُونَهُ) [٦٢]، وورد أيضاً (وهذهِ الحياةُ الأبدية أنْ يعرفوكَ أنت الالهُ الحقيقيُ وحدكَ ويسوع المسيحُ).

المطلب الثالث: التوحيد والعقل عند العلماء الغربيين.

قال هيكل عن الله والعقل: إنه لما كان الله هو موضوع الدين؛ فإنه لهذا هو حرٌّ حريةٌ مطلقة، وهو يعينُ ذاته؛ لأن كل الغايات الأخرى تستهدف الإلتقاء في هذه الغاية القصوى، وهي في حضرته تتلاشى، وتكف عن أن تكون لها قيمة في ذاتها، ويرى هيكل أنه في الدين وفي الله يجد الكل تحققه، ففي الدين إذ تنشغل الروح بذاتها، بهذه الغاية تنزل الأثقال عن كاهلها، وتكسب لذاتها إشباعها وخلاصًا نهائيين، فهنا لا تعود الروح تربط نفسها بشيء غير نفسها وهذا محمود، لكنّ الارتباط بالله الغير محدود واللامتناهي، وهذه هي العلاقة اللامتناهية، هي علاقة الحرية في الفكر، وليست علاقة التزمتية أو العبودية، هنا يكون وعيها حرًا حريةً مطلقة، ويكون في الحقيقة وعيًا؛ لأنه وعيٌ بالحقيقة المطلقة وهو الله، وهذا الشرط للحرية في طابعها كشعور هو الإحساس بالإشباع الفكري الذي نسميه باليُمنِ والبركة، بينما كنشاط روحي فإنه ليس لديها شيء أبعد لتفعله أكثر من تجلية جلالية الله، وكشف عظمته (٦٣).

تعرض هيكل إلى الحرية الفكرية، ودورها في تكوين الوعي التوحيدي، وفصل بين الروح في إيمانها، وبين العقل في إيمانه التوحيدي، وانطلق في تأسيس ذلك على مبدئ الحرية الفكرية التي تنسجم مع فكرة الله المطلق، فحيث أنّ الله في وجوده مطلقٌ، فلا بد أن يعيش العقل البشري في فضاء مطلق غير مُقيد، وتعرض بعض العلماء الغربيين حتى المسلمين إلى العقل وكيفية ارتباطه بالله تعالى.

إما مالبرانش فإنّه نتيجة قوله: بقيام الأفكار الأولية بذات الله، تمحَّل كيفيةٌ لارتباط الناس بها، وعبر عنها بـ (الرؤية في الله)، فالله مرتبطٌ بنا كذلك، فإنّ عقولنا ترى في الله حقائق الأشياء في نقائها التام، ومعقوليتها الخالصة، أي: أننا لا نرى الأشياء ذاتها في الله، وإنما الأفكار الأزلية التي تمثلها، وإلا فالأشياء ندركها بانفعالاتنا الحسية، فوجود الشمس ـ مثلاً في الأفق نتعرف عليه حسيًا، لكن حكمنا بدائرية الشمس إنما جاء من رؤيتنا التي مأخوذة من دائرة العقل الإلهي(٦٤).

المبحث الخامس: نقاط الاشتراك والاختلاف في مصادرية العقل في الكتب الثلاثة

بحثنا في العنوان الرئيس (التوحيد ومصادر المعرفة في القرآن والتوراة والإنجيل) محاور مهمة يمكن إيجازها بالآتي:

١- مفهوم التوحيد في مصادر المعرفة طبقًا للنصوص الواردة في الكتب الثلاثة، واتضح أنّ التوحيد يُمَثلُ رُكنًا أساسيًا في هذه الكُتب إذ حضوره ومحوريته وشموليته في العديد من المحاور الأساسية.

٢-مصادر المعرفة كانت تُمثلُ محورًا مهمًا في نصوص الكُتب الثلاثة، لا سيما فيما يتعلق في البعد التوحيدي.

على الرغم من حضور هاذين المحورين في نصوص الكُتب الثلاثة بشكلٍ مُلفتْ كما تبين ذلك من البحوث المُتقدمة، وما تمخضَ من كل ذلك من نقاط الإشتراك والاختلاف، فإننا نرى

أنّ هناك ضرورة للتطرق إلى عرض النتائج عن مصادر المعرفة بشكل عام، ومصادر المعرفة في الكتب الثلاثة قبل الدخول في بيان أهم نقاط الاشتراك والإختلاف بين نصوص الكتب الثلاثة، ونقاط الاختلاف فيما تمَّ بحثهُ في هذا البحث.

من المعلوم إنّ مصادر العقل للمعرفة مرتبطة إرتباطاً وثيقاً مع الفلسفة والعلوم العصرية، فالفلاسفة وعلماء الغرب يتعاملون مع مصدرية العقل بإسلوب مختلف عن المنهجية التي يتعامل بها علماء الأديان الثلاثة، ولقد نقلنا في هذا البحث المنهجية التي اتبعها الفلاسفة وعلماء الغرب في التعامل مع مصادر المعرفة، فمنهم من جعل العقل هو المصدر الرئيس للمعرفة، ومنهم من جعل الحس والتجربة هما المصدران الرئيسيان للمعرفة، والبعض الآخر حاول توجيه مصدرية الإلهام والحدس للمعرفة، وإما النصوص التوحيدية في الكتب الثلاثة فقد تعاملت مع مصادر المعرفة بشكلٍ مختلف تماماً، ففي الوقت التي اعتبرت أنّ العقل مصدرٌ مهم من مصادر المعرفة قيدت ذلك بضم الحواس إليه، ورفضت أن يكون العقل مصدراً مستقلاً للمعرفة، وضمن هذا الإختلاف كان من الضروري التطرق إلى نقاط الإشتراك والإختلاف فيما بين المصادر المعتبرة في نصوص الكتب الثلاثة، وبين مصادر المعرفة بصورةٍ عامة:

أهم نقاط الإشتراك:

١ـ لا يوجد خلاف إذ المبدئ بضرورة المصدر المعرفي العقلي لاكتساب المعرفة، إلا عند أهل السفسطة فلم يقروا بوجود حقائق معرفية قطعية.

٢ـ النصوص التوحيدية في الكتب الثلاثة تتفق على وجود حقائق معرفية طبقاً لمصدرية العقل بشكلٍ إجمالي، مع وجود تفاصيل سوف نتطرق إليها في نقاط الإختلاف.

٣ـ على الرغم من إختلاف الفلاسفة وعلماء الغرب في عدد المصادر المعرفية وحدودها، فإن النصوص التوحيدية في الكتب الثلاثة قد اتفقت معها على مصدرية العقل، فكان العقل الجامع لهذه المصادر والحاضنة لها.

٤ـ لقد أثبتت النصوص في الكتب الثلاثة، وبعد دراستها بعيدا عن التأويلات والتحريف، إنها تتفق على مفهوم التوحيد بشكل إجمالي، فالنصوص التوحيدية التي تتوافق مع مصادر المعرفة، كلها تتفق أن الله تعالى واحدٌ لا شريك له، ولا مثيل له، وهو وأحدٌ في وحدانية.

٥ـ وبعد دراسة النصوص في الكتب الثلاثة، وجدنا أن هناك توافقًا واشتراكًا فيما يتعلق بمصادر المعرفة، مع وجود بعض الاختلافات، وسوف نذكرها في نقاط الاختلاف.

٦ـ هناك اشتراك بشكل إجمالي على شمولية التوحيد لكلِ الأبعاد المعرفية في نصوص القرآن الكريم. وفي النصوص التوحيدية الصحيحة في التوراة والإنجيل على الرغم من وجود التفاوت الكبير بين شمولية القرآن وشمولية التوراة والإنجيل.

نقاط الإختلاف:

١ـ لقد أضافت النصوص التوحيدية للكتب الثلاثة مصادر نوعية ساعدت في تحصيل الحقائق المعرفية العديدة، وهذا ما تمّ بيانه في المطالب السابقة التي جاءت متطابقةً مع العقل باعتباره من أهم المصادر المعرفية، بينما المصادر المعرفية بشكلٍ عام والمعتمدة من العلماء الغربيين فكان حضورها ضمن الإطار المادي، لذا كانَ نتاجها المعرفي مختصراً على هذا الإتجاه.

٢- إنّ الإختلاف الحاصل عند علماء الغرب فيما بينهم في اعتماد مصادر معرفية محددة، كان من ضمن أسبابه المهمة، هو عدم إيمانهم بالمعارف التي جاءت بها النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل التي اعتمدت على بعض المصادر المعرفية مثل الوحي والإلهام.

٣- لقد تفردت النصوص التوحيدية في القرآن الكريم في إحصاء كل المصادر المعرفية التي تمخض عنها حقائق معرفية لا عدَّ لها ولا حصر، ولقد خصت في ذلك العقل، وهذا يعود إلى فاعلية المصادر المعرفية في النصوص التوحيدية في القرآن، فلقد أعطتْ هذه النصوص دوراً مهماً للعقل والحواس في التأمل والنظر والتجربة والإستدلال، حتى في أدق الحقائق المعرفية التي أخبرت عنها، والتي يُطلق عليها عند علماء الكلام أصول الدين، فأوجبت على الإنسان إستثمار القدرة العقلية للتوصل إلى هذه المعارف الغيبية التي لا يمكن للحواس إدراكها، ورفضت كل أنواع التقليد، أو العمل طبقاً للمعرفة القائمة على الظن، وهذا يعطي لكل المصادر المعرفية التي جاءت بها النصوص التوحيدية في القرآن مصداقية كبيرة جداً عند أهل العلم والتحقيق، وهذه الميزة تفرد بها القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل وعن الإتجاهات الفلسفية والعلمية التي تخصصت في تحديد المصادر المعرفية، إذ أثبتت التجارب عدم تمكن كل هذه الإتجاهات من الاتفاق على مصادر محددة، وما يؤكد ذلك هو الإختلاف بين الإتجاه التجريبي والإتجاه والعقلي.

٤- على الرغم من وجود اتفاق إجمالي في نصوص الكتب الثلاثة عن مفهوم التوحيد طبقا لمصادر المعرفة. إلا أن ما طرحته النصوص القرآنية في هذا الجانب كان يتضمن حقائق معرفية عن الذات الإلهية تتضمَّن، الصفات والأسماء وتوحيد الأفعال وتوحيد الحاكميّة، والتشريع، وتوحيد العبادة وغيرها، كلُ ذلك في إطار مصادر المعرفة التي من أهمها العقل والحواس، وأما ما جاءت به النصوص التوحيدية الصحيحة في التوراة والإنجيل فلم يكن واضحاً جعل العقل محوراً مهماً وأساسياً للحصول على الأبعاد المعرفية، والواضح من هذه النصوص التوحيدية إنها اعتمدت الوحي والإلهام مصدران رئيسان للتوصل إلى هذه الأبعاد المعرفية.

٥- أهم نقاط الاختلاف بين النصوص التوحيدية في القرآن والتوراة والإنجيل، هو التناقض الحاصل بين النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل، ففي الوقت الذي نجد فيهما نصوصًا صحيحةً تنقل لنا صورةً عن مفهوم التوحيد الخالص، وإن كان منقولاً عن طريق الوحي والإلهام، فإنّ هناك نصوصًا كثيرةً تتقاطع مع تلك الرؤيا، ولقد بينا آنفا إنّ سبب هذا الاضطراب والتناقض يعود إلى الوضع والتدليس، وهذا ما لا نراه في النصوص التوحيدية في القرآن.

٦- وجدنا أنّ النصوص التوحيدية التي جاء بها القرآن الكريم، التي أعطتنا صورة واضحة عن التوحيد الخالص اعتمادًا على المصادر المعرفية، كان هذا التوحيد التي جاءت به هذه النصوص متصفًا بالشمولية حيث بيّنت لنا محورية التوحيد في الربوبية والتدبير، بينما لا نجد هذه الشمولية في النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل، بل حتى في النصوص التي نقلت لنا التوحيد الخالص، ولقد تبين لنا أنَّ

القرآن الكريم قد تفرد في تبيان البعد الاستدلالي في إثبات ماهية الذات الإلهية وصفاتها الثبوتية والجمالية ؛ بالاعتماد على العقل والحواس، بينما نصوص التوراة والإنجيل لم نجد فيها ما يستدل على ما تقدم، إلا في ضوء بعض النصوص والتي أشارت بشكل مجمل إلى ما أشرنا اليه، ولقد بينا ذلك في تفاصيل البحث.

٧- بعد أن تتبعنا النصوص التوحيدية في القرآن، وجدنا أنها تتضمَّن الحقائق الآتية:

• إنها تتخذ منهج الإسلوب الموضوعي المعتمدة على مصدرية العقل في طرح الأبعاد المعرفية للتوحيد الخالص، فتُرجع الآيات المتشابهة من النصوص التوحيدية إلى المُحكم منها، بينما ذهب بعض مُفسري الكتاب المقدس على إرجاع المتشابه من النصوص التوحيدية إلى الثابت في العقيدة الدينية، على سبيل المثال ما عمله القس أنطونيوس فكري في تأويل بعض النصوص التي يُفهم من ظاهر معناها التوحيد الخالص، حيث أرجعها إلى عقيدة التثليث.

• النصوص التوحيدية جاءت وحدةٌ مُتكاملة مُتناسقة ولا وجود للتناقض فيها هذا ما جاء طبقاً لمصدرية العقل، على الرغم من عدم جمع آيات التوحيد في سورةٍ واحدةٍ أو في آيةٍ واحدة، بينما النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل جاءت متعارضة في اللفظ والمعنى وهذا ما يتقاطع مع المصدرية المعرفية للعقل.

•صدق الحقائق المعرفية التي جاءت بها النصوص التوحيدية في القرآن، مثلتْ إعجازًا معرفيًا قائمًا ومستمراً إلى يومِ القيامة طبقاً لمصدرية العقل المعرفي.

• صِدقُ الرسول(ص)، فلقد كانت الحقائق المعرفية التي جاءت بها النصوص التوحيدية في القرآن هي إثباتٌ لصدقيّة الرسول والرسالة معا اعتماداً على مصدرية العقل المعرفي.

• أهم ما ميّز النصوص التوحيدية في القرآن أنها أكدت على أهمية العقل والحواس في التوصل إلى معرفة الله تعالى ومن ثم التوصل إلى الحقائق المعرفية المختلفة.

• تفردت النصوص التوحيدية في القرآن بذكر أبعاد معرفية عن الذات الإلهية، والتي جاءت عن طريق الوحي، والتي يمكن أن تكون مادةً للبحث والنظر اعتماداً على مصدرية العقل المعرفي، فالذات المقدسة هي الأول والآخرُ والظاهرُ والباطن، وهي مع كلّ شيء، وهي التي استوت على العرش، وهي التي لها القيومية والهيمنة على كلّ شيء، وهي التي تبقى ويفنى كلّ شيء، وهي التي معنا أينما نكون، وهكذا الكثير من الأبعاد، ونذكر هنا بعض الشواهد من النصوص التوحيدية في القرآن:

قال تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} سورة الحديد الآية٣.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } سورة الحديد الآية ٤.

قال تعالى: {ولا تدع مع الله إلها ءاخر لا إله إلا هو كلُّ سيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون} سورة القصص الآية ٨٨.

وللإنصاف فإنّنا لم نلمس فيما تتبعناه وبحثناه في النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل، واحدة من هذه الحقائق التي ذكرناها، والسبب في كلّ ذلك يعود إلى وجود عملية تضليل ممنهجة تعرض إليها الكتابيين المُنزليّن من الله تعالى (التوراة والإنجيل)، التي كان هدفها طمس الحقائق المعرفية التي جاءت به هذه الكتب المقدسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الخاتمة

فيما تقدم من مباحث تناولنا فيها عناوين رئيسية تم بحثها مستنتجة من عنوان البحث الموسوم (التوحيد ومصادر المعرفة في القرآن والتوراة والإنجيل)..

بحثنا مفهوم التوحيد طبقا لمصادر المعرفة استنادا على النصوص الواردة في القرآن والتوراة والإنجيل. ولقد اتضح فيما سبق أن التوحيد يمثل ركنا اساسيا في الكتب الثلاثة المذكورة ومن عدة جهات كمحوريته في هذه الكتب وشموليته في العديد من المحاور. بل التوحيد في ما ذكر من النصوص يمثل الغاية القصوى في الايجاد والخلق.

ومن الملفت اننا وجدنا في هذا البحث انما تمثله مصادر المعرفة في فهم النصوص والتدبر فيها للحصول على المعاني في مضمار التوحيد كان ملفتا وفي غاية الأهمية. وعلى الرغم من حضور هاذين المحورين في نصوص الكتب الثلاثة الا ان هناك ثمة اختلاف كبير فيما طرحته النصوص التوحيدية في القرآن الكريم وما طرحته النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل. فما طرحته النصوص التوحيدية في القرآن عن مفهوم التوحيد كان أوسع واشمل واكمل، فجاء متضمنا حقائق معرفية عن الذات الإلهية والصفات والأدلة على أن صفاته هي عين ذاته.فضلاًعن ذلك جاءت النصوص متحدثة عن مراتب التوحيد كتوحيد الأفعال والحاكمية والتوحيد في التشريع وغيرها. كل ذلك طرحته النصوص من خلال الاستعانة بمصادر المعرفة ولذلك جاءت استدلالاتها متطابقة تمام التطابق مع هذه المصادر المعرفية. واما النصوص التوحيدية في التوراة والإنجيل فكانت قريبة منها إلى السرد القصصي والذي يقبل الكثير من التفسيرات والتشيكك وهذا ما كنا نعانيه في المباحث السابقة حيث اننا بحثنا عن الكثير من النصوص التوحيدية الصريح والواضحة المعبرة عن مفهوم التوحيد وصفاته وأسماءه ومراتبه وشموليته فلم نجد الا نصوصًا حاولنا تأويلها ولوي معانيها الظاهرية الى معاني تتلائم مع التوحيد الذي نحن بصدد البحث فيه طبقا لمصادر المعرفة. وحتى ما نقلناه من فهم لهذه النصوص من قبل المفسرين الغربيين فإنهم وقعوا في نفس المازق التأويلي ولوي المعاني والنصوص في سبيل التوصل إلى معاني موائمة للمعنى التوحيدي الشائع في عقيدة التثليث عند المسيحيين. نعم هناك من التوجهات الواعدة لدى الكتاب الفلاسفة او عند بعض رجال الدين ممن انكروا هذا الفهم التوحيدي الذي فهم وحدانية الله في الثالوث. ولقد بحثنا كل ذلك بالتفصيل في هذا البحث وتوصلنا إلى نتيجة مفادها ان النصوص التوحيدية التي جاءت في التوراة والإنجيل لم تعطي للمفهوم التوحيد صورة دقيقة وواضحة وكذلك لم تذكر اسماءه وصفاته ومراتبه. وان هذه النصوص باعتبار نقلها عن طريق الإلهام لم تكن منسجمة مع المصادر المعرفية بل كانت أقرب إلى الاتجاه الميتافيزيقي منه إلى الواقعية والتي تلبي حاجات المجتمعات من تشريع ونظم اجتماعية ولذلك جاءت الابعاد المعرفية التوحيدية بعيدة كل البعد عن معرفة التوحيد الخالص.

واما ما جاء به القرآن من نصوص توحيدية صريحة وواضحة لا تقبل التأويل والتبديل، حيث جاءت منسجمة تمام الانسجام مع مصادر المعرفة تمام الانسجام مما أدى إلى التوصل إلى فهم واضح المفهوم التوحيد. والبحث في اسماءه وصفاته وكمالاته ومراتبه، ومما يدل على ذلك الابعاد المعرفية التي استنتجها المفسرون الاسلاميون والتي تلعب دورا

اساسـيا في بنـاء المجتمعات على اسـاس الثقافة التوحيدية السائدة في تلك المجتمعات والتي تعتمد التشـريعات والنظم الذي جاء بهـا القرآن الكريم عبر الأزمنة المتعاقبة. فبناء الأسرة جاء متطابق مع هذه النظم الاخلاقية والتشريعية والتي جاءت بها النصوص التوحيدية في القرآن. وكذلك النظام المالي والاقتصادي والأمنـي كله انطلق من هذه النصـوص ومما زاد في نجـاح هـذه التجارب التوحيـدي في الواقع الإسـلامي هـو اعتماد هذه النصوص على مصادر المعرفة ومن اهمها العقل

الهوامش

١- الإتقان في علم القرآن، السـيوطي، ج١، ص ١٨١- ١٨٢.

٢- دروس في أُصول فقه الإمامية، المؤلف: عبد الهادي الفضلي، ج١ ص١٣٨.

٣- علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم،ص١٧.

٣- موجـز علوم القـرآن، دكتـور داود العطار، ص١٧.

٥- معجـم ألفـاظ العقيدة، عامر عبـد الله فالح أبو عبد الله، ص ١٤٢.

٦- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري ٢٨٤/١٥.

٧- معجم المعاني الجامع، للشـيخ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، مادة: التوراة.

٨- مقدمـات في علم العقيـدة والإيمان والتوحيد، الـدرر السـنية، الموسـوعة العقديـة، علوي عبد القادر السـقاف،الكتاب الثانـي، الإيمان بالله: {توحيد الرَّبوبية والألوهية، والأسـماء والصفات}.

٩- كتـاب دروس فـي علـوم القـرآن والعهدين، الدكتور علي الشيخ، ص٣٦ بتصرف.

١٠- معجـم المعاني الجامع، باسـل زيدان، مادة {إنجيل}.

١١- نفس المصدر السابق.

١٢- دراسـات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، ص ١٩٩، ص ١٤٧.

١٣- القامـوس المحيـط، الفيروز آبـادي، ج٣، ص٤٨١.

لسان العرب، لابن منظور، ص١٥٤.

١٤- المفـردات فـي غريـب القـرآن، الراغـب الأصفهاني: ج١، ص٧٩.

١٥- لسان العرب، أبن منظور، ج١، ص١٥٥.

١٦- الروضة البهية في شـرح اللمعة الدمشـقية، الشـهيد الثاني زين الدين الحر العاملي، ج٣، ص ٣٠٤.

١٧- تفسـير الميزان، السـيد الطباطبا ئي، ج٩، ص٢٤١.

١٨- تفسير ابن الكثير، ج٣، ص٥٠٠.

١٩- كتاب مفاهيم التوحيد، الشيخ جعفر السبحاني المجلد ١، ص٦٦٤ /١٠.

٢٠- التفسـير الكبير، الفخر الرازي، التوحيد،ج ٣٢، ص ١٧٤.

٢١- تفسـير الميـزان، السـيد محمـد حسـين الطباطبائي، ج٢٠، ص ٣٨٧.

٢٢- مفاهيـم القرآن الكريم، الشـيخ السـبحاني، ج١، ص ١٤.

٢٣- التوحيد في القرآن، الشـيخ جواد آملي، ص ١٦٥.

٢٤- تفسـير الرازي، فخـر الدين الرازي، ج ٨، ص ٥٨.

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن، محمود ابن الحسن الألوسي، {تفسير الألوسي} ج٢، ص ٣٣.

٢٦- كتاب الإشـارات، ابن سينا، ج ٣/ ص ١٨ - ٢٨.

٢٧- التجريد، صدر الدين الشيرازي، ص ١٧٢ بشكل آخر في كتابه {الأسفار}.

٢٨- سفر الخروج ٦:٣.

٢٩- تفسـير الكتـاب المقـدس، للقمـص تادري يعقوب ملطي، الإصحاح الثانمن والعشرون، سفر التكوين .

٣٠- سفر اشعياء ٦:٤٤.

٣١- اشعياء٤٥: ٢١، ١٥،٢٤.

٣٢- اشعياء: ٤٦، ٣، ٥، ٦، ٨.

٣٣- سفر المزامير ٤:٩٦.

٣٤- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، الدكتور عبد الواحد وافي، ص٢٩

٣٥-{باروخ سبينوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧} م: فيلسوف يهودي هولندي، استعمل منهجاً هندسياً في دراسته لموضوعات الميتافيزيقا والأخلاق، من أعماله، رسالة في إصلاح العقل، والحب العقلي لله، ورسالة في اللاهوت والسياسة.

٣٦- تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ص ١٢٠.

٣٧- سفر التثنية {وهو أحد أجزاء التوراة الخمسة}، إصحاح ٤ عدد ٣٩.

٣٨- الأمثال، ١٩: ٨.

٣٩- مزمار ٤٩: ٢٠.

٤٠- تفسير الكتاب المقدس، للقمص انطونيوس فكري، سفر الأمثال، الاصحاح التاسع عشر.

٤١- الأمثال، ٣: ١٣.

٤٢- الأمثال، ٣: ١٣.

٤٣- تفسير الكتاب المقدس، للقس أنطونيوس فكري، تفسير الإصحاح الرابع من سفر التثنية، العدد ٣٩.

٤٤- تفسير الكتاب المقدس، للقمص تادري يعقوب، تفسير الاصحاح الرابع من سفر التثنية العدد ٣٩.

٤٥- كتاب المعجم الفلسفي: مراد وهبة، ٢/٨٧.

٤٦- نفس المصدر السابق.

٤٧- هل تؤمن المسيحية بإله واحد، الدكتور جورج حبيب بباوي، {ص ٩- ١٢}.

٤٨- التثنية: ٦- ٤.

٤٩- قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، موقع الأنبا، ص ٢٣٤.

٥٠- تفسير الكتاب المقدس، للقس أنطونيوس فكري، تفسير الإصحاح السادس من سفر التثنية، آية ٤ - ٥ .

٥١- تفسير الكتاب المقدس، للقمص تدرس يعقوب، تفسير الإصحاح السادس من سفر التثنية.

٥٢- التثنية، ١١: ١٣ - ٢١.

٥٣- العدد، ١٥: ٣٧ - ٤١.

٥٤- مرقص، ١٢: ٣٠.

٥٥- تفسير الكتاب المقدس، للقمص تادري يعقوب ملطى، تفسير الإصحاح السادس من سفر التثنية.

٥٦- يوحنا، ٣:١٧.

٥٧- تفسير الكتاب المقدس، القمص أنطونيوس فكري، تفسير إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٧:٣.

٥٨- كتاب أوربا والإسلام، الدكتور عبد الحليم محمود، الفصل الرابع، ص ٥١.

٥٩- الإصحاح ١٢ - العدد ٢٩.

٦٠- مرقس، اصحاح١٢ - العدد ٣٢.

٦١- مفسري الكتاب المقدس، القمص أنطونيوس فكري، تفسير ١٢: ٣٢.

٦٢- يوحنا، إصحاح ٥ - العدد ٤٤.

٦٣- محاضرات في فلسفة الدين، فريدريك هيغل، ترجمة مجاهد عبد المنعم، ص٢٣

٦٤- كتاب مع الفيلسوف، محمد ثابت الفندي، ص ١٥٨.

المصادر

١- أبـو عبد الله عامر عبـد الله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، تاريخ النشر: ١٩٩٧م.

٢- أبونا فكري أنطونيوس، تفسـير العهد الجديد، الناشر: جمعية الكراريس البريطانية وأعادت طباعتـه جمعية الكتاب المقدس، العهد الجديد بترجمته العربية المعروفة بترجمة البسـتاني - فاندايك وهي من الترجمات الأكثر انتشـارا في العالم العربي.

٣- أحد القساوسـة، الإيمان الكاثوليكي، الناشر: دار الشرق بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٩م.

٤- أنطونيـوس فهمـي القس، موسـوعة الكتاب المقدس.

٥- ابـن تيميـة أحمد بـن عبـد الحليـم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح، الناشـر: دار الكتب المصرية، تاريخ النشر: ١٩٩٩م.

٦- ابن سينا علي، المبدأ والمعاد، الناشر: وزارة التراث القومي سـلطنة عمان، تاريخ النشر: ١٩٩٨م.

٧- ابن منظور، لسـان العرب، الناشر: دار أدب الحوزة قم، تاريخ النشر: ١٩٨٢م.

٨- أبو زهرة محمد، محاضرات في النصرانية، الناشـر: دار شركة الشـهاب القاهرة، تاريخ النشر: ١٩٨٩م.

٩- أوقسـت رولينـغ، الكنز المرصـد في قواعد التلمـود، الناشـر: مركـز الشـرق العربـي للدراسات الحضارية، تاريخ النشر: ١٨٩٩م.

١٠-الأزهري أبـو منصور، تهذيب اللغة، تاريخ النشر: ٢٠٠١م.

١١-الأزهري أبي منصـور احمد، تهذيب اللغة، الناشـر: دار المعرفة بيروت، تاريخ النشـر: ٢٠٠٠م.

١٢-الأصفهاني الراغب، مفردات غريب القرآن، الناشـر: دار الكتاب طهران، تاريخ النشـر: ١٩٩٤م.

١٣-الاكويني توما، الخلاص اللاهوتي، الناشـر: دار ومكتبـة ببيلـون بيروت، تاريخ النشـر: ٢٠١٢م.

١٤-البشـير عصام، الله جل جلاله، الناشـر: دار إسلام سودان، تاريخ النشر: ٢٠١٥م.

١٥-الترمذي محمد بن عيسى، صحيح الترمذي، الناشـر: دار الكتـب العلمية بيـروت، تاريخ النشر: ٢٠٠٠م.

١٦-الجزائري نعمة الله، أنيس الوحيد في شـرح التوحيد، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي قم، تاريخ النشر: ٢٠١٤م.

١٧-الجنابي محمد إبراهيم، اليهود قديماً وحديثاً، الناشـر: مطبعـة النجـف الأشـرف، تاريخ النشر: ١٩٧٨م.

١٨-الجوهري إسـماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغـة العربيـة، الناشـر: دار الكتـب العلمية بيروت، تاريخ النشر: ٢٠٠١م.

١٩- الجوينـي أبـو المعلى بن يوسـف، الشـامل في أصول الدين، الناشـر: دار الكتب العلمية بيروت، تاريخ النشر: ٢٠١٤م.

٢٠-الحراني ابن شـعبة، تحف العقول، الناشـر: مؤسسـة الإعلامي بيـروت، تاريخ النشـر: ٢٠٠١م.

٢١- الحكيـم محمد باقر، الناشـر: علوم القرآن، تاريخ النشر: ١٤١٥ه.ق.

٢٢- الحيدري السـيد كمال، المنهـاج الجديد في تعليم الفلسفة، الناشـر: الموقع الرسمي للسيد كمال، تاريخ النشر: ٢٠١٨م.

٢٣- الخميني{قـدس} روح الله، التوحيـد عنـد الشـيعة، الناشـر: مركز باء للدراسـات قم، تاريخ النشر: ٢٠٠١م.

٢٤- الدمشـقي يوحنـا، المئـة مقال فـي الإيمان الأرثوذكسي، الناشر: مكتبة الكتب المسيحية، تاريخ النشر: ٢٠١٦م.

٢٥- الزرقاني محمد عبـد العظيم، منها العرفان في علوم القرآن، الناشـر: دار الكتب العلمية بيروت، تاريخ النشر: ٢٠٠٣م.

٢٦- الزنيدي عبد الرحمن، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، الناشر: دار الفرقان عمان، تاريخ النشر: ١٩٩٣م.
٢٧- السبحاني جعفر، التوحيد والشرك في القران الكريم، الناشر: انتشارات أسوة قم، تاريخ النشر: ٢٠١٦م.
٢٨- السبحاني جعفر، محاضرات في الإلهيات، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي قم، تاريخ النشر: ٢٠٠٥م.
٢٩- السبحاني جعفر، مفاهيم القرآن - معالم التوحيد، الناشر: دار الأضواء بيروت، تاريخ النشر: ١٩٨٤م.
٣٠- السعدي محمد، دراسة في الإنجيل الأربعة والتوراة، الناشر: دار الثقافة قطر، تاريخ النشر: ١٩٨٥م.
٣١- السقار منقذ بن محمود، هل العهد الجديد كلمة الله، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠٠٨م.
٣٢- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ٢٠٠٨م.
٣٣- الشيرازي مكارم، تفسير الأمثل، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.
٣٤-الصدوق، التوحيد، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي قم، تاريخ النشر: ١٩٨٤م.
٣٥-الطوسي الخواجه نصير الدين، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الناشر: مؤسسة الإعلامي بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٢م.
٣٦- العسقلاني بن حجر، الصواعق المحرقة، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٧م.
٣٧- العلامة الحلي حسن بن يوسف، شرح الجريد، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، تاريخ النشر: ٢٠٠٠م.
٣٨- العلامة الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: إيران، مطبعة اسماعيليان، تاريخ النشر: ١٣٧٤هـ.ش.
٣٩- العلامة المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الإعلامي بيروت، تاريخ النشر: ٢٠٠٨م.
٤٠- الغزالي أبي حامد، أحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩١م.
٤١- الفضلي عبد الهادي، موسوعة الأديان، الناشر: دار المؤرخ العربي بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٢م.
٤٢- الفيروز أبادي محمد يعقوب، القاموس المحيط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة، تاريخ النشر: ٢٠٠٥م.
٤٣- الفخر الرازي محمد، التفسير الكبير، الناشر: دار أحياء التراث العربي بيروت ط١، تاريخ النشر: ١٩٩٢م.
٤٤- القادري صلاح عبد الفتاح، سفر التكوين في ميزان القران الكريم، الناشر: دار العلوم للنشر.
٤٥- القس أنطونيوس فكري روفائيل، تفسير الكتاب المقدس، الناشر: موقع أنبل نكلا هيمانوت، تاريخ النشر: ٢٠١٦م، ويتضمن تفسير كل الكتاب المقدس القديم والجديد
٤٦- القس عبد النور منيس - جزيف صابر - وليم وهبة بباوي، دائرة المعارف الكتابية، الناشر: دار الثقافة بيروت، تاريخ النشر: ٢٠١٦م.
٤٧- القمي محمد بن علي بن بابويه، توحيد الصدوق، الناشر: دار المعرفة بيروت، تاريخ النشر: ١٩٨٠م.
٤٨- المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق، الصحيفة السجادية، الناشر: الملحقية الثقافية الإيرانية في دمشق، تاريخ النشر: ٢٠٠٦م.

٤٩- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الناشر: دار الشروق مصر، تاريخ النشر: ١٩٩٩م.

٥٠- المفيد محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية قم، تاريخ النشر: ٢٠١٣م.

٥١- الكتاب المقدس:{العهد القديم والعهد الجديد} الترجمة العربية، الناشر: جمعية الكتاب المقدس في لبنان الطبعة الأولى، تاريخ النشر: ١٩٩٣م.

٥٢- جون لينوكس، العلم ووجود الله، الناشر: مكتبة الكتب المسيحية بيروت، تاريخ النشر: ٢٠١٧م.

٥٣- دائرة المعارف الأمريكية، الناشر: منتديات الصيد مصر، تاريخ النشر: ١٩٥٩م.

٥٤- دائرة المعارف البريطانية، الناشر: ketablink.com، تاريخ النشر: ١٩٦٠م.

٥٥- كريس موريسون، العلم يدعوا إلى الإيمان، الناشر: دار النهضة العصرية، تاريخ النشر: ٢٠١٩م.

٥٦- كزافييه ليون دوفور، معجم اللاهوت الكتابي، الناشر: دار الكتاب المقدس، بيروت، تاريخ النشر: ١٩٨٩م. الترجمة العربية، أشرف على الترجمة، نيافة المطران أنطونيوس نجيب

٥٧- معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ١٩٨٨م.

٥٨- مطهري الشهيد مرتضى، التوحيد، الناشر: دار المحجة البيضاء، تاريخ النشر: ٢٠١٢م.

٥٩- هانس كونج - جوزف فان أس، التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، تاريخ النشر: ١٩٩٤م.

٦٠- فيلس إبراهيم خليل احمد، الغفران بين المسيحية والإسلام، الناشر: دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، تاريخ النشر: ١٩٨٩م.

٦١- صبحي الصالح، مباحث علوم القرآن، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، تاريخ النشر: ٢٠٠٦م.

٦٢- صبحي الصالح، نهج البلاغة، الناشر: دار الكتاب المصري القاهرة، تاريخ النشر: ١٩٨٤م.

٦٣- قادري الترجمان سعد، هوامش في تاريخ الكتاب المقدس، الناشر: دار الرباط المغرب، تاريخ النشر: ٢٠٢٠م.

٦٤- رزاق اسعد، التلمود والصهيونية، الناشر: دار النشر للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، تاريخ النشر: ١٩٩١م.

٦٥- رضا محمد رشيد، تفسير المنار، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٩م.

٦٦- شاهين عليان محمود أبو المنتصر، تاليه المسيح بين الإسلام والمسيحية، الناشر: موقع archive.org - مصر القاهرة، تاريخ النشر: ٢٠١٢م.

٦٧- شديد إسكندر، الأعمال والرسائل المنحولة، الناشر: دار ومكتبة بيبلون القاهرة، تاريخ النشر: ١٩٩٩م.

٦٨- خوام منير، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، الناشر: لبنان، تاريخ النشر: ١٩٧٩م، اختصاص المؤلف في اللاهوت – وهي الأطروحة التي قدمها في الجامعة اليسوعية بيروت، الطبعة الأولى

٦٩- ظاظا حسن، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، الناشر: معهد البحوث والدراسات العربية، تاريخ النشر: ١٩٧١م.

Tawhid in the Source of the Knowledge Mind،a comparative study between the Qur'an،the Torah،and the Bible

Supervision of Prof Dr. Al-Sayed Abdul-Karim Al-Haidari Assistant Professor Dr. Ali Al-Sheikh

Researcher Dr. Muhammad Hussein Sadiq

Al-Mustafa International University / College of Science and Knowledge for postgraduate studies

Tawhid in the Source of the Knowledge Mind،a comparative study between the Qur'an،the Torah،and the Bible}،which included comparative research based on texts in the Qur'an،the Torah and the Bible. It was necessary to study this sources and cognitive dimensions according to the texts considered by them،and this research included the features of monotheism in these texts that can be inferred on the divine attributes and names in the Qur'an،the Torah،and the Bible within the framework of this source،which can be a basic source of inference. On the existence of the Divine Essence and its affirmative attributes،which are called in the knowledge of the scholars of theology with the attributes of perfection and beauty. The three monotheistic religions in terms of their origin and the sources considered in them،and the definition of monotheism and the Bible،as well as research on knowledge and its sources in general،and at the end of this chapter There was a set of conclusions in which we discussed the points of participation in the texts of monotheistic religions in different titles such as the concept of monotheism،cognitive dimensions and considered sources،as well as the points of difference in these addresses through the texts of monotheistic books،as it became clear that there is a convergence between the books of sacred texts in the monotheistic concept and its reality. In general،as well as regarding the mind as one of the most important sources of knowledge،and we concluded that the approved sources of knowledge are the product of religious texts،especially the Qur'anic text. As for the differences،they are perceptions extraneous to the texts that conveyed to us pure monotheism،and among the most important causes of them were some of the wrong readings made by Christian scholars،or interpretations that emptied the texts of their real meaning،or some of the falsehood and deception that affected the texts of the Torah and the Gospel،and we have adopted in writing these The thesis is on the descriptive،analytical،and comparative method.